مذبحة القلعة و غياهب غوانتنامو

أسرار شاهد عيان



وليد محمد حاج
معتقل سابق بغوانتنامو

مذبحة القلعة

وغياهب غوانتنامو

الطبعة الثالثة

و. م مذبحة القلعة وغياهب غوانتنموا / وليد محمد حاج علي.
الخرطوم: مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٩
٢٠٢ ص؛ إيض ٢٤ سم
ردمك: ٥-٦-٩٢١-٩٩٩٤٢-٩٦٨
١- السجون
٢- السجون الحربية
أ. العنوان
رقم الإيداع: (٢٠٠٩/٣٣٠)
٣٦٥,٤٨ وليد محمد حاج علي، ١٩٧٤

توزيع

دار القمري

dar_alqimare@yahoo.com
٠١١٤٧٤٧٤٥٨٩ - ٠١١٤٧٤٧٤٥٦٨

مذبحة القلعة و غياهب غوانتنامو

أسرار شاهد عيان

وليد محمد حاج

معتقل سابق بغوانتنامو

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧، ١٩٨].

الإهداء

أهدي هذا الكتاب

إلى والديّ العزيزين:

اللذين ربياني صغيرا وصبرا على غيابي الطويل وانا بعيد عنهما في سجون الظلام.

إلى من نعمت بصحبتهم في خطوط القتال في خواجة غار، وقلعة الجنك في شمال أفغانستان.

أولئك الذين قدموا أرواحهم فداء لنصرة دين الحق.

إلى القابعين خلف القضبان في غياهب غوانتناموا ينتظرون عدالة السماء.

إلى أولئك الذين أفرج عنهم وما زالوا يحملون بين جوانحهم أبشع صور التعذيب الذي عرفته الإنسانية في حضرها.

إلى القابضين على الزناد لإعلاء كلمة الله في أفغانستان والشيشان وفلسطين والعراق وكشمير والصومال.

وليد محمد حاج

فلئن عرف التاريخ أوسًا وخزرجًا
فلله أوس قادمون وخزرج



فلست أبالي حين أقتل مسلمًا
على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصالِ شلْو ممزّع

فهرس المحتويات



الفصل الأول

* المقدمة.
* في كنف الأسرة.
* في رحاب المملكة العربية السعودية.
* الرحلة إلى باكستان.
* العبور إلى أفغانستان.
* في الخطوط الأمامية للقتال في خواجة غار.
* الانسحاب إلى مدينة قندوز.

الفصل الأول

❑ المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرض وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخليله وأمينه على وحيه، أرسله إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على طريقته في الدعوة إلى سبيله، وصبروا علي ذلك وجاهدوا فيه حتى أظهر الله بهم دينه، وأعلى كلمته ولو كره المشركون، وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

لا شك أن المواقف والتجارب التي تمر بالإنسان تدفعه بأن يوثقها وهي من الأمور المهمة التي لابد من تسجيلها وتوثيقها لتتناقلها الأجيال جيلًا بعد جيل وتبقى بالتالي جزءًا مهمًا من حلقات التاريخ، وعليه فإني أسجل لك أيها القارئ هذه المواقف والتجارب التي عشتها عن كثب لأكشف لك الستار عن الجوانب المظلمة من سياسة أمريكا في العالم الإسلامي الذي سبب الكراهية ومنطلقها هو حقد الكفر على الإسلام.

ومن الطبيعي أن يكون لكل فعل رد فعل وأن تنشأ مقاومة مسلحة في العالم الإسلامي للتحرر من الإحتلال المدجج بأحدث أنواع الأسلحة ومن الطبيعي أيضًا أن يكون العداء عامًا وثابتًا وأحسب أن السؤال الكبير المتداول بين أوساط المسئولين الأمريكيين «لماذا يكرهوننا؟» يجئ رده على أنهم تجاهلوا كل التقارير التي حذرتهم من مغبة الظلم واستغلال الشعوب المسلمة ونهبهم لثروات بلدانهم

وتكريس الفقر والبؤس في أرجائها، وفي أكبر عملية تزييف وتزوير في التاريخ، عمد الإعلام الغربي والأمريكي على وجه الخصوص بعد أحداث الحادي عشر من سبتمر إلى وصم مقاومة الإحتلال ومناهضة الاستغلال بالإرهاب وبناء على هذا الخلط المتعمد بنت إدارة بوش خططها للحروب الاستباقية تحت مزاعم مكافحة الإرهاب وقامت بأفعالها العدوانية بغير أدلة أوبادلة مسبقة الصنع ضد الإماره الإسلامية في أفغانستان والعراق وانتهجت سياسة حمقاء قائمة على التهديد بالقوة العسكرية والتلويح بالعدوان المسلح ضد دول إسلامية، ورفعت شعارات هي أبعد ما تكون عن الإيمان بها حول غياب الديمقراطية المدعاة وحقوق الإنسان المزعومة لدى العرب والمسلمين ولم تكتف بذلك بل راحت تكيل الإتهامات للمسلمين بأنهم شعوب متطرفة ومتخلفة وهمجية ووصل الأمر إلى حد التطاول على الإسلام والتمادي على رسوله ﷺ ومقدساته وقيمه وتدفقت حملة غربية مغرضة صفراء مدَعية أن الإسلام هو مصدر الإرهاب والتطرف ويتخذ من القتل وسيله لتحقيق غاياته، لقد عمّقت إدارة بوش كراهية المسلمين للسياسات الغربية الأمريكية، كيف لا وقد أستخدمت هذه الإدارة كل إمكانات الدول العملاقة المتجبرة في العالم ليس للإنحياز لإسرائيل وضد الحق والعدل فحسب وإنما لتوجيه قواها العسكرية والإعلامية والمخابراتية الجبارة لتحطيم وتدمير أبسط مقومات الحياة في بلاد المسلمين وسلب خيراتهم وثرواتهم.

كما عمدت على إزالة أنظمة بعينها في كل من العراق وأفغانستان وقبضت على الأبرياء وزجت بهم في معتقلات قندهار وغوانتنامو وأبو غريب والسجون السرية في أوربا والبلدان العربية وغيرها.

وبما أنني كنتِ واحدًا من أولئك الذين زج بهم في تلك المعتقلات في كل من «شفرغان» و«قندهار» و«غوانتنامو» فقد عايشت فيها كل أنواع القهر والإذلال التي

مارستها أمريكا لانتهاك كرامتنا متجاهلة كل الإتفاقيات والأعراف الدولية التي تنص على صيانة حقوق الأسرى.

ها أنذا أسرد لكم أيها القراء في هذا الكتاب كل التجارب والمواقف العصيبة التي عشتها في أفغانستان ومعتقل غوانتنامو في كوبا، جمعتها لكم مجردة من أي تزييف أو محاولة للّيّ عنق الحقيقة، فأرجو أن تعذروني علي هذه الصياغة للأحداث التي جاءت تفاصيلها خالية من جمال الأسلوب وحسن السبك ودقة المعني فأتمنى أن تتقبلوها على علاتها فأنا لست بكاتب محترف بل أنا شاهد علي العصر أقول ما يمليه علي ضميري وأسأل الله تعالى أن يوفقني وإياكم ويهدينا إلى سواء السبيل.

وليد محمد حاج محمد علي بلال

التاريخ: ١٥ مايو ٢٠٠٨م

❑ في كنف الأسرة

لا أعرف كيف أبدأ ولكن سأحاول وأستجمع طاقتي وأفكاري إلى أقصى حد حتى أعتصر آخر كلمة موجودة في الذاكرة أقول:

نشأت في أسرة بسيطة في شمال السودان وبالتحديد في محلية البرقيق[١] تلك القرية الوادعة التي ترقد علي أكناف نهر النيل العظيم، حيث تحدّها من ناحية الجنوب مدينة «أرقو» ومن ناحية الشمال مدينة «كرمة» ذات الحضارة العريقة ومن ناحية الشرق يمتد على محازاتها مشروع البرقيق الزراعي ومن ناحية الغرب جزيرة أرتقاشا[٢] مهد آبائي وأجدادي الأول.

كان مولدي في عام ١٩٧٤م، حبوت على تراب هذه القرية الآمنة المطمئنة، تفتحت عيناي على معالمها وأزقتها وحواريها وتعودت أذناي على سماع أبواق البصات واللوارى الصاعدة والهابطة من وإلى الخرطوم وهي تحمل المسافرين وشحنات التمر والفول المصري، كذلك تعودت أذناي علي جلبه وضوضاء السوق وصياح الباعة والحيوانات والعربات وحركة الرائحين والغادين من المارة الذين يفدون إليه من أطراف القرية، نظرت عيناي أول ما نظرت من معالمها البارزة «الدفوفة»[٣] تلك القلعة الرابضة على مشارفها وهي تسد الأفق بلونها الداكن وعلوها الشاهق كلما أنظر إليها ترجع بي الذاكرة إلى جذور التاريخ وأحس بروعة المكان الذي يملأ نفسي راحة وأمانًا.

تبسط الشمس أشعتها الذهبية بحنان على صدر هذه القرية وتصحو من إغفاءتها في الصباح الباكر لتغسل وجهها بماء النيل وتفتح عينيها على سحر الطبيعة المتجلي

---

(١) البرقيق: إحدى محليات الولاية الشمالية - السودان.

(٢) جزيرة ارتقاشا: إحدى الجزر القابعة في أحضان نهر النيل بالولاية الشمالية.

(٣) الدفوفة: بناية اثرية شهيرة كانت تستخدم كقلعة لملوك النوبة.

في الشطئان والجزر المتناثرة حولها في أحضان النيل، إنها قرية تمنحك المشاعر الرقراقة والحنان الدفاق، تفتح صدرها وقلبها للقادمين إليها في ألفة عميقة وترحاب شديد و«الدفوفة» بشموخها الأسطورى وعظمتها المهيبة تمثل علامة بارزة ومعلمًا مهمًا تصافحها العيون قبل الدخول إليها.

نعم عشت في هذه القرية طفولتي الباكرة وشربت من مائها العذب وتشبعت بعبق جروفها الندية وورثت عزة وكبرياء آبائى وأجدادى النوبة وأرومتهم[١] الشامخه شموخ نخيلها الباسقات التي تعانق السماء رفعة وعلوا وأنا أنعم في حجر أم حنون تكفلت بتربيتنا أحسن تربية، علمتنا الصبر والكفاح والتضحية والاعتماد على النفس وحب الخير للناس منذ نعومة أظفارنا وأنا سادس سبعة أبناء، أما الأب فقد تعود علي حياة الهجرة والاغتراب منذ بواكير عمره في مصر ولبنان والكويت وحرم نفسه من حضن الوطن ودفئ العشيرة لأجل راحتنا وبعد ثلاثين عامًا من الهجرة والاغتراب ألقى عصا الترحال في رحاب الوطن أوائل التسعينات من القرن الماضي وأستقر في ضاحية (الحاج يوسف القديمة - المايقوما)[٢] حيث كانت الأسرة قد سبقته في صيف عام ١٩٨٣م.

قدمت إليها- أي الحاج يوسف - مع الأسرة، كنت حينها صبيًا يافعًا لم أبلغ مبلغ الرجال بعد، بدأت أخطو أولى خطواتي في مدارج العلم والمعرفة، كانت المحطة الأولي (مدرسة الشعبية الإبتدائية) بحي الشعبية في مدينة بحرى بعدها تحولت إلى (مدرسة الحاج يوسف الإبتدائية القديمة) ومنها صعدت إلى المرحلة المتوسطة ثم الثانوي (بمدرسة بحري الحكومية العريقة)، في رحاب هذه المدرسة

---

(١) أرومتهم: يعنى أصلها.

(٢) الحاج يوسف المايقوما: احدى مدن محلية شرق النيل التابعة لولاية الخرطوم.

بدأت أبني أولى صداقاتي وأرسي قواعد وجسور التواصل مع أصدقائي وزملاء الدراسة، بدأت أتعرف على نمط الحياة الجديدة في المدينة وأتشبع بتجارب جعلت ذهني يتفتق رويدًا رويدًا على هذا الأسلوب الجديد من حياة المدينة الصاخبة بكل ما فيها من تناقضات، أخذت أتشرب بمفاهيم وأفكار تختلف عما حملتها من حياة القرية حيث التقاليد والأعراف والنظم الصارمة وبساطة العيش وطيبة الأهل وتسامحهم وروح المودة والترابط الأسرى المتين وما إلى ذلك من المثل والقيم النبيلة، طفقت أتنسم عبير الحياة المدنية وأنا ما زلت أحمل بين جنبى تلك الروح القروية التي أعتز بها، كان لابد ان أتجاوب إذن مع هذا المجتمع المدني والتفاعل مع سرعة إيقاع الحياة فيها لأننى صرت جزءً من منظومة أفرادها، هكذا أخذت معالم شخصيتى تتشكل في خضم هذه الحياة.

جلست لامتحان الشهادة السودانية، أحرزت نسبة أهلتني لدخول كلية الشريعة والقانون في جامعة أم درمان الإسلامية، انتظمت في العلم ولزمت قاعاتها ردحًا من الزمن وأنا أقبل علي العلم والمعرفة بروح وثّابه وحماسة لا تحدها حدود وعقل متفتح للتحصيل والتلقي، لكن شاء الله أن تكون هذه الروح الوثابه وتلك الحماسة أن تخبو رويدا رويدًا وتلاشت تمامًا ولم تعد لهما في الذاكرة مكانًا، تسألنى أيها القارى ما السبب؟ أقول لك: أن هناك عاملًا قد برز علي حياتي وأخذ يطرق علي تفكيرى بقوة قادنى هذا العامل إلى التفكير في ترك قاعات الدرس والاتجاه إلى طريق الهجرة الاغتراب مثلى ومثل معظم الشباب، كرست معظم وقتي وجهدى لتحقيق هذا الهدف الذي كان يقف وراءه جمع المال واقتناء المنزل والسيارة وبناء أسرة جديدة والإنفاق علي الوالدين وإخواني ورعايتهم، دفعتني الظروف الإقتصادية الضاغطة لاسيما بعد رجوع الوالد من بلاد الغربة والإستقرار بأرض الوطن إلى ذلك الطريق.

أخيرًا تحصلت علي تأشيره دخول إلى أراضي الحرمين الشرفين التي تعتبر نقطة تحول كبيرة في مسيرة حياتي الروحية والاتجاه إلى منحي آخر ما كنت أتوقعه، حزمت أمتعتي وودعت أهلي علي عجل وأنا في طريقي إلى أرض المطار كانت تلك الرؤى والأحلام تتزاحم بذاكرتي وتدفعني دفعًا في المضي قدمًا لارتياد آفاق طالما كنت أحلم بها، هذه كانت غايتى المنشودة وقناعتي التي توصلت إليها ولكن يبدو أن أقدار الله كانت تنسج لي في الخفاء أحلامًا ما خطرت يومًا علي بالي حيث كنت أعد نفسي لشئ والله تعالي يعد لي شيئًا آخر في رحم الغيب فسبحان الله المدبر للأمور والمتصرف فيها وكيف لا! وهو القائل في محكم تنزيله ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

قبل وصولي إلى أرض الحرمين لم أكن أنتمي لأي حزب سياسي أو أعتنق مذهبًا معينًا كنت مسلمًا عاديًا أؤدى شعائرى الدينية التي تلقيتها من بيئتي.

❑ في رحاب بلاد الحرمين:

بعد أن وطأت قدماي أرض الحرمين الشريفين، تعلمت في رحاب هذه الأراضى المقدسة أمورًا فقهية ومسائل شرعية تزودت بها في مراحل حياتي المختلفة، أنخرطت أطرق أبواب العمل وأتنقل من مكان إلى مكان وفجأة عاودني الحنين إلى الوطن ومواصلة دراستي الجامعية التي قطعتها، شاورت الأهل في ذلك لكن وجدت رفضًا كان هذا الرفض نعمة كبيرة علي، رجعت أتنقل من عمل إلى عمل ومن مدينة إلى أخرى إلى أن قضيت زهاء الثلاث أعوام ونصف في أراضي الحرمين الشريفين، قررت العودة مرة أخرى إلى الوطن لكن هذه المرة لإكمال

(١) البقرة - الآية رقم ٢١٦.

أسعار الفنادق قيل لى: أن تكلفة اليوم يتراوح ما بين ١٠ إلى ١٥ ريال سعودي يا للهول والنصب والإحتيال!!!

بعدها قررت الرحيل من هذا البلد والعودة إلى بلدي للزواج من غير أن أتصل بجماعة الدعوة ولكن أين المفر من أقدار الله.

تعرفت علي رجل يتكلم اللغة العربية في أحد المساجد، رويت له ما حصل لي، أبديت له بانني أريد نشر الدعوة، بعد أن أستمع إلى باهتمام قال لي: إذا أردت نشر الدعوة فأذهب إلى أفغانستان فهي بحاجة إلى الدعوة، قلت له لا املك تأشيرة دخول، قال مبتسمًا: الأمر سهل، وبعد الانتظار لعدة ساعات ركبنا السيارة وهي تشق بنا المدن والقرى إلى ان وصلنا إلى مدينة تسمي «كويتا»[1] في الحدود الأفغانية، ودخلنا مضافة[2] وجدت فيها مناظر عجيبة، أناس مبتورو الأيدى والأرجل ومصابون في رؤوسهم، خيل لي في بادي الأمر أنها مستشفي ولكن فيما بعد علمت بأنها مركز يتجمع فيه جرحي قوات طالبان ومن ثم يتم توزيعهم إلى المستشفيات، مكثت عدة أيام معهم منتظرًا الدخول إلى أفغانستان.

❑ العبور إلى أفغانستان:

أخذتنا الشاحنات وتوجهت بنا إلى الداخل وهي تحمل من تعافى من جراحه إلى مراكز تجمع قوات المجاهدين في مدينة تسمي «قندوز»[3] تبعد حوالي الف كيلو متر من «كويتا» كانت الرحلة طويلة وممتعة تمتد أمامك الطريق، تصعد بك إلى الجبال تارة وتهبط بك إلى سهول خضراء تارةً أخرى، ترى وسط هذه السهول

(١) كويتا: مدينة حدودية بين افغانستان وباكستان.

(٢) مضافة: بمعنى بيت الضيافة.

(٣) قندوز: مدينة فى شمال افغانستان وكانت تعتبر من اقوى المعاقل لطالبان.

والوديان حدائق الكروم والرمان والتين وأنواع شتي من الفواكه وتهب عليك بين الفينة والأخرى نفحات طيبة تفوح من أرجاء الوادى وتدغدغ المشاعر وزخات المطر المتواصل تبعث فيك النشاط والحيوية، ربما وقع نظرك علي فلاح ممسك بمحراثه يجره ثور وهو يعد أرضه في همه ونشاط وحوله أطفال يمرحون في براءة علي ضفاف مجارئ الماء وربما ترى قطعان الضأن والماعز تتهادى وسط هذه الخضرة وقد تمر أمامك الطيور أسرابًا أسرابًا والسحب الداكنة تعبر الأجواء وتمضي نحو المجهول في عجل كسفن بلا أشرعة وتظهر لك من بعيد سلاسل جبال «هندوكوش»[1] تسد الأفق وتشرئب بقممها الشاهقة نحو السماء كأنها تتضرع إلى الله وقد توشحت أعاليها بثوب أبيض ناصع من الثلج، تدخل من عقبة إلى عقبة ومن نفق إلى نفق ومن قرية إلى قرية، أكثر ما ترى الناس يمتطؤون الخيول والبغال وعمائهم مسدولة علي أكتافهم، فيا لها من مناظر خلابة تملأ النفس روعة وجمالاً.

❏ فى الخطوط الامامية للقتال في «خوجة غار»[2]:

وصلنا إلى شمال أفغانستان وتحديدًا مدينة «قندوز» إحدي معاقل قوات طالبان، وأنا في هذه المدينة إذ قرأت رسالة موجهة إلى المسلمين كافة علي لسان أمراة شيشانية تقول فيها أنهنّ لا يحتجن رجالا للدفاع عن حرمات المسلمين في تلك البقاع ولا أموالا للدعم والمساندة ولكن نحتاج فقط منكم إرسال أقراص منع الحمل حتي لا نحمل من هؤلاء الروس السفاحين، كانت تلك الرسالة قد هزت ضمير العالم الإسلامي وحركت مشاعر النخوة والرجولة لما يحدث في ديار

---

(١) هندوكوش: سلاس جبلية ضخمة تخترق اراضى افغانستان وتمتد الى الدول المجاورة.

(٢) خوجه غار: مدينة صغيرة تقع على نهر جيحون وكانت الخط الفاصل بين قوات طالبان وقوات مسعود شاه وحلفئه من الروس والفرنسيين.

المسلمين، كنت واحدًا من الذين أطلعوا علي تلك الرسالة فتأثرت بها مما جعلني أغير طريقى من الدعوة إلى إعداد نفسي للتدريب وبالتالى الانخراط للجهاد في الشيشان، التحقت بقوات حركة طالبان للتدريب علي حمل السلاح ومن ثم التوجه إلى جمهورية الشيشان مجاهدًا في سبيل الله ومدافعًا عن بيضة الإسلام ومرابطًا فيها لإعلاء كلمة الحق، نذرت نفسي لهذا الحلم السامي وبالفعل توجهت إلى «خوجه غار» وهى منطقة تتخللها هضاب وتلال وأودية جافة، مبانيها عبارة عن منازل متناثرة مشيدة من الطين والقش بعضها مهدمة وبعضها مهجورة وذلك بسبب كثرة الحروبات، هي منطقة متاخمة لطاجكستان يفصل بينهما «نهر جيحون» الذي ينحدر من قمم الجبال العالية مندفعًا بقوة هائلة أتخذت قوات طالبان من هذه المنطقة مركزًا عسكريًا وخط أول للقتال، في هذه المنطقة بدأت أولي خطواتي لطريق الجهاد حيث سكنت في الخنادق، ولم أكن العربي الوحيد بل كانت هناك عدة جنسيات عربية وغير عربية، في أول وهلة دخولي إلى هذه المنطقة حدثت حادثة كانت من المثبتات لى والدوافع التي جعلتني أزداد إصرارًا علي المضي في هذا الطريق، دعني أيها القارئ الكريم أسرد لك تفاصيل تلك الحادثة وما فيها من كرامات وعبر وعظات.. هجم العدو علي خط النار الأول من جهة المجاهدين العرب وكان في هذه الأثناء.. إثنان من المجاهدين العرب هما عبد الله المكي وعزام النجدي يتآنسان داخل أحد الخنادق وفجأة وقع انفجار قوي بالقرب منهما وأعقبه سلسلة من الإنفجارات الأخرى المدوية، فزع عزام ولم يكن نتيجه لخوف، حاشا وكلا ولكن انتقل في برهه من الزمن بروحه إلى عالم مثالي ملئ بالتجلي والصفاء الروحي، رأى صاحبه عبد الله المكي نورًا يشع من قدم عزام، عاد عزام من عالمه الروحاني وغطي قدميه سريعًا كانت هذه الحادثة لها وقع في نفس عبد الله المكي، وبعد أخذ ورد لما حصل خرجا من الخندق لينظرا سبب الإنفجارات

بينما هما كذلك فإذا العدو قد أقبل متجهًا صوب المركز المجاور لهما، في هذا الأثناء تقابل عبد الله المكي مع أحد الإخوة المرابطين ويدعي مصعب العودلى حكي له رؤيا قد رآها في المنام قال: «كأني في مدينة جده دخلت إلى فندق وكان به سبع غرف فوجدت غرفتي مختلفة عن بقية الغرف» وطلب من عبد الله المكي ان يفسرها له، فقال له عبد الله: «ترجع إلى مدينة جده وتقتل»، أما عزام كان يقف أمام باب الخندق يوم الجمعة في ذلك الوقت يذكّر الإخوة من أكثار الصلاة علي الرسول ﷺ وقراءة سورة الكهف والتحصين بأذكار المساء، وكان شابًا ورعًا أحسبه من الصالحين ولا أزكي علي الله احدًا.. فإذا بقذيفة تنطلق من جهة العدو وتمزقة أشلاءً، وجدنا الجزء الأعلي من جسمه ودفناه أما الجزء الأسفل·فقد وجدناه في اليوم الثاني ودفناه أيضًا لكن في مكان آخر.. وبذلك سمي «بذى القبرين».

وبعد شهر من هذه الحادثة و أنا أتجول في التلال والوديان وجدت أجزاءً أخرى متناثرة من جسمه، أخذت قطعة وشممتها ولم أجد فيها أي رائحة كريهة مثل ما يحدث للجثث وظلت كل هذه الفترة محفوظة من الوحوش والهوام «سبحان الله».

دارت رحي الحرب وكان النصر فيه حليفنا وتم بعون الله دحر العدو المدعوم من قبل الروس و الفرنسيين، بعد يومين زار عزام صديقة عبد الله المكي في رؤيه مناميه فقال له عبد الله: «ماذا حدث لك يا عزام؟» فقال له: «حين وقفت أمام باب الخندق وأذكّر الإخوة بالأذكار فإذا بي أري قذيفة منطلقة نحوي - ومعلوم أن الإنسان لا يتمكن من رؤية القذيفة المنطلقة لسرعتها التي تفوق سرعة الصوت عندئذ أيقن أنه قد أصبح في عداد القتلي لذلك رآها «فسبحان الله» فالميت يرى عند احتضارة ما لا يراه غيره ويسمع ما لايسمعه الآخرون - ثم قال لم أحس إلا وأنا من فوقكم وأشاهد رحي المعركة تدور وحاولت النزول لكي أشارككم ولكن

وجدت نصف جسدي مفقودًا، فجاء ملك ورفعني إلى ملك آخر ثم إلى آخر إلى أن وصلت إلى السماء»، سأله عبد الله: «أين أنت الآن يا عزام؟» قال: «أنا في الجنة»، قال له عبد الله: «أريد علامة بأنك في الجنة حتي أخبر إخواني المجاهدين»، فأراه أنهار الجنة وثمارها، فقال له عبد الله: «زدني فأحضر له مصعب العودلي ذلك الشاب الذي حكي رؤية لعبد الله من قبل وكان قد قتل هو الآخر في نفس اليوم الذي قتل فيه عزام، فقال له مصعب: «أنا وعزام كلانا في الجنة وعزام درجته أعلى من درجتي، أما رؤيتي التي فسرتها آنفًا فقد أصبت في تفسير بعضها وأخفقت في تفسير بعضها الآخر، أصبت بأننى أقتل وأخفقت في تفسير رجوعى إلى جدة والغرف السبعة وهي ترمز لسبعة قتلي وكان هؤلاء السبعة هم عزام، ومصعب، وخمسه باكستانيين». فقال عبد الله لعزام: زدني فاحضر له أبو معاذ الكويتي وكان قد قتل في البوسنه من قبل فذكر له اسمه الحقيقي ثم بين له بأنهم سوف يصابون ببلاء عظيم وكشف له بعضًا من ذلك البلاء، بعد ذلك جاء عزام بورقة بها أسماء تبلغ الأربعين وقال له: «إن هؤلاء سوف يقتلون و طلب منه ألآ يخبر أحدًا من إخوانه بما جاء في الورقة من أسماء».

استفاق عبد الله المكي بعد ذلك من نومه ولم يستطع كتمان ما رآه وذكر للإخوة المجاهدين تفاصيل هذه الرؤيا العجيبة وأخبر كل واحد منهم بأنه ضمن الأربعين، والأعجب من ذلك أنه اشترك اثنان في اسم واحد وادعي كل واحد منهما بأنه هو المعني حتي جاء عزام مرة أخرى إلى عبد الله المكي وحدد صاحب الإسم بأنه فلان ابن فلان، وجاء عزام مرة أخرى في المنام لعبد الله المكى وأعطاه ورقة بها أسماء مائة أخ سوف يقتلون ولكن عبد الله المكى لم يتمكن من قراءة الأسماء على حد قوله، أما كيف قتل الإخوة الأربعين.. تلك قصة أخرى سوف أرويها لكم.

لا شك أن غزوة الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١م كانت نقطة تحول كبرى في

خارطة العالم حيث غيرت مجرى السياسة الدولية بأسرها في العالم وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

أشارت أصابع الاتهام إلى تنظيم القاعدة الذي يتزعمه الشيخ أسامة بن لادن بتدبير هذه الغزوة، وهدد المعتوه بوش بالإنتقام وطلب من جميع الدول وخاصة الدول العربية والإسلامية التعاون معه للانتقام مما سماه بالجماعات الأصولية الإرهابية التي أرغمت أنف أمريكا في الوحل وهتكت سيادتها، صرح في وسائل الإعلام المختلفة بأنه «من لم يكن معنا فهو ضدنا» وأخذ يعد العدة لتغيير أنظمة بعينها في دول مسلمة باعتبارها أنها محتضنة وراعية لهذه الجماعات الأصولية معلنًا في كلمة حماسية بأنها (حرب صليبية) ولاحقًا سحب كلمة (حرب صليبية) بعد أن أخبره اللوبى اليهودي المتحكم بمفاصل الدولة ومصنع القرار بأن هذا التصريح سوف يجر عليهم وبالًا ويثير مشاعر المسلمين كافة ويوقظ الخلايا النائمة من شباب الإسلام ضد اليهود والنصارى، ونتيجة لضغط اللوبي اليهودى عليه غير شعاره الى الحرب ضد الإرهاب، فهولم يكن يعلم عاقبة ما تفوه به.

أول ما فعله بوش هو أن وجه قواته العسكرية نحو الإمارة الإسلامية في أفغانستان التي كانت تحت قيادة حركة طالبان بزعامة الملا محمد عمر مجاهد وحليفه الشيخ أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة والذي تبنى الدمار الذي لحق بأمريكا في سبتمبر ٢٠٠١م.

وجدت أمريكا مساعدات وإستجابات من أغلب الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية لا سيما الدول المجاورة لأفغانستان مثل باكستان التي فتحت قواعدها وأراضيها لغزو افغانستان، بدأت الطائرات الأمريكية تنطلق من قواعدها في باكستان وغيرها من دول الخليج مستهدفه المدن الأفغانية، فبدؤوا بالعاصمة كابل وقندهار وجلال أباد، وأخذت ترمى أطنانًا من القنابل الفتاكة على تلك المدن،

كما أن أساطيلها الرابضة في السواحل كانت تنطلق منها طائرات محملة بأحدث انواع الأسلحة المدمرة لتدك المدن والقرى وتحيلها أثرًا بعد عين.

بعد أن سقطت المدن الرئيسية في الجنوب والشرق والغرب توجهوا أخيرًا في شمال أفغانستان، في هذه الفترة كنت ضمن قوات طالبان في الجبهة الشمالية، جاءت الطائرات الاستطلاعية لتكشف أماكن تجمعات المجاهدين، كان أغلب الإخوة الأربعون الذين أخبرتك عنهم سابقًا كانوا موجودين خلف التلال أي في الخط الثاني يعدون أنفسهم للصلاة، أثناء اصطفافهم لأداء الشعيرة جاءت الطائرات الأمريكية وألقت أطنانًا من القنابل العنقودية عليهم فقتلوا جميعًا وتمزقت أجسادهم الطاهرة إلى أشلاء، جاء أمير الجماعة ومعه مجموعة من المجاهدين لإخلاء المكان من الجرحى والقتلي فإذا بالطائرات تعود مرة ثانية وتلقى أطنانًا أخرى من القنابل العنقودية فلحق بهم أمير الجماعة (عبد السلام الحضرمي) ومن معه ايضًا، كان هؤلاء القتلي من ضمن الأربعين اسمًا التي ذكرها عزام في رؤيته، ولم يبق من هؤلاء الاربعين إلا خمسة مجاهدين، اثنان منهم أحياء إلى يومنا هذا وينتظرون دورهم والثلاثة الباقين كانوا رفقائي في القلعة وغوانتنامو و قتلوا مؤخرا وهم (يوسف الشهري: قتل في الحدود اليمنية) (ياسر الزهراني: قتل على يد الأمريكان في معتقل غوانتنامو) (وضاح الأبيني: قتل ايضا على يد الأمريكان في معتقل غوانتنامو)، فالإنسان لا يعرف متى وأين يموت مصداقًا لقوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[1].

(١) سورة لقمان الاية رقم (٣٤).

❑ الانسحاب إلى مدينة قندوز:

عند حضور القوات الأمريكية إلى شمال أفغانستان كان خطتهم عدم قتل العرب المجاهدين في صفوف طالبان، كانوا يريدون أن يأخذوهم أحياء، جاءت الطائرات الاستطلاعية لتكشف أماكن التجمعات ثم عادت بعدها جاءت المقاتلات تحمل في جوفها الجحيم لتصبها علي الميامن والمياسر لكسر جانبى خط القتال والالتفاف عليهم من الخلف وحصرهم في مكان واحد حتى يتسنى لهم السيطرة على الموقع وأسر أكبر عدد منهم، ولكن هذه الخطة باءت بالفشل لأن أمير الجماعة (غريب الصنعاني) الذي استلم القيادة بدلا عن عبد السلام الحضرمي عندما علم بهذه الخطة قام بسحب قواته والخروج من هذه المصيدة، بعد خروجنا جاءت الطائرات الأمريكية تحلق فوق التلال التي انسحبنا منها وجاءت أيضًا قوات التحالف بقيادة فهيم شاه (أحد قادة مسعود شاه) من جهة الميمنة والميسرة التي أخترقت ودخلوا وهم يعتقدون بأننا ما زلنا في مواقعنا، واصلنا الانسحاب من هذه المنطقة واتجهنا نحو آخر معقل لطالبان الا وهي مدينة قندوز التي ما تزال صامدة في وجه الأعداء، واصلنا طريقنا بين الجبال والتلال ومعنا عدة جنسيات، طاجيك، بنغال، باكستانيين، والإخوه العرب من اليمن، بلاد الحرمين، ليبيا، الجزائر، والمغرب وغيرها، أثناء انسحابنا كان بعضنا يتخلص من الأمتعة الثقيلة حتي نخف في السير، و إذا أعطينا وصفًا دقيقًا لهذه المنطقة المشهورة بكثرة التلال والوديان يمكن ان تقول بانه يبدو كمثل «طبق البي» نصعد في تلة ونهبط منها في تلة أخرى ونحن نسير في شكل جماعات، كل فوج مع أميره إلى أن وصلنا مع مغيب الشمس إلى ممر جبلى ضيق ينتهى إلى سهل منبسط، عند وصولنا إلى نهاية الممر سمعنا أصوات وهمهمات تحت جنح الليل سألنا : من أنتم؟ من أنتم؟ عندمالم نجد الإجابة منهم ظننا بأن العدو قد قطع علينا الطريق، كنت في مقدمة المجموعة توقفنا

برهة عند سماع هذه الأصوات فإذا برصاصة مضيئة تمر من أمامى، أخذنا نرد عليهم وهم يردون علينا فترة من الزمن، رأيت بأم عينى أحد الإخوه يهوى في وادى عميق بسبب قذيفة (أر- بى- جى) مرت من أمامه، قتلوا منا عددًا، استمر الإشتباك حتي سمعنا صراخًا من الجانب الآخر ينادى توقفوا.. توقفوا.. إخوانكم.. إخوانكم تبين لنا فيما بعد بأنهم إخواننا الأوزبك وقد سبقونا إلى هذا المكان عن طريق آخر، في هذا الاشتباك المؤسف قتل منا سبعة إخوه وهم (عثمان الحضرمي ابن عم عبد السلام الحضرمي، أبو زيد البدري من المدينة، أبو تراب النجدي يسكن الرياض وهو كان يصرخ وينادي توقفوا توقفوا، وعبد الله التونسي يسكن ألمانيا.. وجرح منا البعض وقتل منهم واحد وعشرون أخ أوزبكى وجرح بعض منهم، كادت تحدث كارثة لولا لطف الله علينا.

في هذه الأثناء أحسسنا بأن العدو قد علم بالخديعة وخروجنا من المصيدة فأسرع للحاق بنا، تركنا القتلى في مكانهم وحملنا الجرحى في إحدى الشاحنات التي كانت مع الأخوة الأوزبك، بينما نحن نسير فإذا بنا نرى فوق هذا السهل سيارات ومدرعات تتحرك تحت جنح الليل كاشفة الظلام أمامنا بأنوارها الساطعة، كانت المسافة بيننا وبينهم حوالي خمس كيلو مترات تقريبا.

بعد أن أدينا صلاة العشاء، جمع الأمير (غريب الصنعاني) الإخوة وقال: العدو من خلفنا ومن أمامنا والطائرات الأمريكية تحلق فوقنا لتكشف مكاننًا ومعنا جرحى تنزف دماؤهم وهم بحاجة إلى تلقي العناية الصحية فمن يبايعنى على الموت من أجل إخواننا وفتح الطريق لمرور الجرحي؟ أبدى الجميع استعدادهم وبعد المبايعة، وضع خطته بأن جعل للإخوه ميمنه وميسرة ومقدمة ووضع اثنين في المقدمة للاستطلاع وأمر الجميع بوضع طلقة في (بيت النار) أى تعمير السلاح ليكون جاهزًا، تحرك الجميع تحت جنح الظلام تاركين خلفنا أخواننا الذين قتلوا

في الاشتباك الخاطئ، بعد أن سرنا قليلًا جاء العدو من خلفنا ووجد القتلى وأسر بعض الإخوه الذين تأخروا عن الركب، استطاع أحد الإخوة أن يلقى عليهم قنبلة يدوية كانت بحوزته فأصابهم رعب وأحدث إرتباكًا في صفوفهم فنجى الإخوة من الأسر.

بينما نحن نقطع الفيافى والوديان ونصعد تلة ونهبط من أخرى رأينا شاحنة، كان بإمكاننا أن نستولى عليها ولكن أمر الأمير غريب الصنعانى بأن نتركها تمر حتى لا ينكشف لهم موقعنا إذا اشتبكنا معهم، فمرت من أمامنا وهي تشق الوادى، كان الوقت قبيل الفجر فأردنا أن نأخذ قسطًا من الراحة، جلسنا في بطن الوادى وكان البرد قارسًا، لم نستطيع الجلوس أو النوم فأمر الأمير بالتحرك، كان هذا أول يوم من انسحابنا من (خوجة غار).

بدأ قرص الشمس يرتفع رويدًا رويدًا وبسطت أشعتها علي الجبال والوديان وأنقشع الظلام، فإذا بنا نجد أنفسنا قد ضللنا الطريق والطامّة الكبرى بأنه ليس معنا دليل والطريق أمامنا طويل يصعد بنا تارة الى أعلى التلال ويهبط بنا تارة أخرى إلى السهول، وبينما نحن في هذه الحال إذ سمعنا أحد الأخوه يهتف قائلًا: بأن هذا الطريق يؤدى إلى قندوز ويبدو أنه كان قد مر من هذا الطريق من قبل، أخيرًا تنفس الجميع الصعداء، عرفنا فيما بعد بأن هذا الطريق قد مرت به المدرعات الثقيلة التابعة لقوات طالبان التي سبقتنا عند الإنسحاب.

كان الامير غريب الصنعانى حقيقة رجل ذو كفاءة عسكرية عالية وخاض غمار معارك كثيرة مع صغر سنه (٢٣ سنه) كان يدرك بحسه العسكرى بأن أى تأخير في هذا الإنسحاب ليس من الصالح، لذلك كان يسرع بنا وإذا أردنا أداء شعائر الصلاة ينبهنا وهو يخطو خطوات سريعة ويقول: تجهزوا للصلاة ويقف، ونصلى ونكمل أذكار الصلاة والباقيات الصالحات أثناء سيرنا، أتذكر في هذه اللحظة أنه كان معنا

أخ أفريقي أو جمايكى لا أدرى بالضبط واسمه عبد الله البوسنوى كان يعيش في مكه وكنيته(بابا) تورمت قدماه ولم يستطع مواصلة السير قال لنا: أتركوني وسلاحى أواجه مصيرى تركنا له سلاحه ولم يكن معه زاد فلا أدرى أهو قتل أم أسر، وأيضًا فقدنا عكرمه وهو من حضرموت شقيق أبو هاجر الحضرمي وافترق منا بعض الاخوة منهم من وصل الى قندوز بعد أيام ومنهم من أسر ورحل إلى غياهب غوانتنامو بعدنا.

كنا نتجنب أثناء سيرنا القرى والبلدات حتى لا يغدروا بنا أو يخبروا الأعداء عن مكاننا، بعد أن قطعنا مسافة بعيدة وجدنا مكانًا شبه آمن بين التلال وقد بلغ منا العطش مبلغا، هنا قال الأمير غريب الصنعانى: أريد منكم عشرة رجال لا يتوقفوا عن السير حتى نصل قندوز نأتى بالسيارات والطعام، توجه العشرة بمن فيهم الأمير نحو قندوز ولكنهم أخطؤوا الطريق الصحيح وظلوا يتيهون بين الجبال والسهول لا يعرفون أي فج يسلكون وقد بلغ بهم الجوع والعطش مبلغًا عظيمًا، بينما هم كذلك إذ حصلت لهم كرامة، وجدوا حمارًا محمولاً على ظهره طعام كثير وماء والأغرب من ذلك أنه لم يكن هناك راعى ولا قرى مأهولة بالسكان فأكلوا وشربوا.

قلقنا عليهم عندما طال بيننا وبينهم الأمد كان في هذا الوقت قد حدثت حادثة طريفة كنت سببها وتتمثل هذه الحادثة بأنناعندما أمرنا بالإنسحاب من (خوجة غار) أخذت سلاحى وفتحت حقيبتى وأخذت معجون الأسنان الذى كان لا يفارقنى، أثناء استجمامنا للراحة تحسست جيبى فإذا به المعجون، أخذت بعضًا منه ووضعته في فمى فما أن وضعته حتى امتلأ فمى ريقًا كثيرًا، تذكرت إخوتى وما هم فيه من التعب والعطش، صرت أعطى كل وأحد منهم المعجون حتى ينعموا بما نعمت به، أتذكر منهم عبد الرحمن السليماني وكنيته مصعب العربي يسكن بالطائف بحي الشطبة نسأل الله أن يتقبله وبالفعل أحس كل واحد منهم بما أحسست به مما

جعلهم يطلبون المزيد، ويالهول ما حصل بعد برهه جف المعجون في فمهم والتصقت شفاههم وفقدوا بقية البلل الذى كان في فمهم ولم يتمكنوا من فتح أفواههم ونادوا عليّ بصعوبه قائلين: ماذا فعلت بنا يا (زول)؟ فلم أستطع الإجابة لأنى أنا الآخر صرت مثلهم لا أستطيع الكلام، لن أنسى هذا الموقف الطريف وهم كذلك.

رأينا ونحن على هذا الحال أهالى بعض القرى مقبلون نحونا من بعيد، وعندما اقتربوا منا أخذوا يطلقون علينا الرصاص ونحن لا نبالى بهم من شده التعب وزخات الرصاص تمر من فوقنا وحولنا إلى أن طلب الأمير الثانى (عبد العزيز العمري كنيته عطيه الزهراني نسأل الله أن يتقبله) أن ننزل إلى جوف الوادى فنزلنا وتفرقنا فيه وأثناء تفرقنا في بطن الوادى حدثت شجاعة نادرة من أحد الأخوة اليمنيين وكان صغيرًا في السن يدعى (سيف الوائلى)، كان من أشهر الرماة بيننا ومعروف في قريته بهذه الصفة، كان هذا الفتى سائرًا إذ وجد أمامه أشخاصًا على بعد مائتين متر تقريبًا. هاتفوه قائلين: أقدم.. أقدم نحن من قوات طالبان هنا نصحه أحد الإخوة الباكستانين قائلًا: لا تذهب إليهم فهؤلاء كذابون منافقون خونة، لم يسمع كلامه وتقدم نحوهم صاعدًا التلة، عندما اقترب منهم أيقن بصدق نصيحة الباكستانى وتدارك الموقف بسرعة نزل من التلة بسرعة وذهب إليهم من الخلف وكمن في مكان ورآهم يلبسون قبعات الأعداء المعروفة (البكول) فأطلق عليهم عدة رصاصات فأردى إثنين منهم قتلى ثم أخذ سلاحهما وعاد إلينا والقبعة على رأسه والسلاح الذي أخذه من هؤلاء الأعداء في يده فما كان من الأمير إلا أن وهبه إياها لما قام به.

اختلف الإخوة حول المكوث في مكاننا أم التقدم إلى الأمام لملاقاه الأمير الصنعانى والأخوة العشرة، بعد التشاور قررنا التحرك وقد أخذت الشمس تميل

نحو المغيب، دخلنا في ليلة ليلاء فيا لها من ليلة طويلة مرت ثقيلة! كنا نترقب هجوم الأعداء في أى لحظة، نسير في طرق ملتوية ومتشعبة وزمهرير البرد الشديد يلسعنا، والإرهاق والتعب أخذ منا كل ماخذ إلى أن ظهرت خيوط النهار الأولى من اليوم الثالث.

كان معنا مجاهد أمريكى يدعي «جون ووكر» ماكنت أعرف انه أمريكى إلا بعد أن وصلت إلى غوانتنامو، كان هذا الأمريكى مريضًا لا يستطيع السير إلا مسنودًا على أكتاف الإخوة يتناوبون عليه، كنت واحدًا ممن كان يسنده إلى أن وصلنا مدينة قندوز حيث لزم الفراش الأبيض في المستشفى، كنت أظن أنه شيشانى حيث كان هناك شيشانيان معنا ويحمل أحدهما نفس ملامحه، لذا ظننته شيشانيًا وفي غرف التحقيق في غوانتنامو كانوا يكثرون السؤال عنه، كنت أؤكد لهم بأنه لم يكن معنا أمريكى وأنا أجيب عن سؤالهم بصدق ما أقول لكن الأمر كان خلاف ذلك، فالرجل علي حسب ما رأيت فيه صفات الورع والتقوى والشجاعة والثبات علي الجادة - وأحسبه والله حسيبه ولا أزكي علي الله أحدًا - هذا الرجل عندما ألقي القبض عليه فيما بعد في (قلعة الجنك)[1] قال لرجال الصحافة والإعلام: نعم أنا أمريكى مسلم جئت إلى هنا مجاهدًا لإعلاء كلمة الله وأنا متحسر بأننى لم أرزق الشهادة مع بقية إخوانى ومن أراد ان يتحصل علي صورته فليدخل في موقع الأسرى في النت : www . asra-al . comلم يصدق الأمريكان بوجود واحد من بنى جلدتهم في صفوف المجاهدين. أثناء هذه الرحلة كنا نرى علي جوانب الطرق وبين الوديان سيارات محروقة ومدرعات مقلوبة وشاحنات معطلة فارقها أهلها، وصلنا عند نقطة تقاطع طرق، نظرنا من على البعد شاحنة متربصة في موقع كمين،

---

(١) قلعة الجنك: قلعة مشهورة تقع فى شمال افغانستان تحديدا فى مدينة مزار شريف، انشئت منذ خمسمائة عام.

تقدمنا نحوها حذرين، عند اقترابنا تبين لنا أنها معطلة وحولها أواني متناثرة وملابس وبراميل يبدو أن أصحابها رحلوا عنها عندما اشتد بهم العطش والجوع. كان الإخوه في قمة العطش قطعوا (أنابيب الريدياتر)[١] وشربوا ماءها الصدئ وبعض الإخوة -أكرمك الله- شرب بوله، وبعضهم أكل الحشائش ليخفف من وطأة العطش وكنت واحد منهم، بعد أن وجدت بللًا في حلقي قلت: للإخوان مداعبًا، الآن قد عرفت لماذا لا ترفع الأنعام رأسها من الحشائش لانها تجد أكثر مما نجده من اللذة في مضغ الحشائش.

وصلنا بعد عناء وجهد شديدين إلى مفترق طرق يتفرع منه طريقان، أحدهما طريق واسع على يميننا والآخر طريق ضيق علي يسارنا، أحترنا أي الطريقين نسلك، تشاورنا فيما بيننا، طلب الأمير (عطيه الزهراني) منا أن نسلك ميامننا تيمنًا لسنة الرسول ﷺ، أخذنا جهة اليمين أي الطريق الواسع «عرضه حوالي مائة متر»، رأينا شاحنة مقبلة نحونا تأهبنا للاستيلاء عليها لكن عدلنا عن رأينا وتركناها تمر كسابقتها، حاولنا تشغيل جهاز اللاسلكي وكان خارجًا عن شبكة الإتصال أخذناه وصعدنا به إلى أعلي قمة ومعى مجموعة من الشباب (حفظهم الله)، كان كلما نصعد الى أعلى نسمع الأصوات رويدًا رويدًا حتى وضحت الأصوات وهي كانت تأتينا من مركز القيادة من قندوز، حددنا لهم موقعنا، علمنا فيما بعد أن الطريق الذي سلكناه طيلة هذه الفترة طريق لا يؤدى إلى قندوز وأنما يؤدى إلى طاجكستان وهو المعروف بطريق الشاحنات، بدأنا نطلق وابل من الرصاص إلى أعلى ليهتدوا إلينا ويعرفروا مكاننا بالضبط، فجأة ظهرت الشاحنات من بين التلال والوديان وهم يهاتفوننا قائلين بأننا نراكم، هنا سجدنا شاكرين الله والدموع تخضب لحانا من

---

(١) الريدياتر: خزان الماء الذى يبرد ماكينة السيارة.

شدة الفرحة، وصلوا إلينا بعد أن رأينا الموت بأم أعيننا وسط هذه الجبال والوديان الموحشة. أحتضنونا ودخلنا في عناق طويل يدل على الأخوه الصادقة والمحبة الخالصة لله، فقدموا لكل واحد منا تمرة معها نصف كوب من الماء ورفضوا ان يعطونا المزيد حتى لا يؤدى كثرته إلى مضرة، لم نأكل ونشرب ونسترح منذ ثلاثة أيام فما أقساها من رحلة!

ركبنا معهم الشاحنات رافعين جهاز اللاسلكى عسى ولعل مجموعة ضالة عن الطريق من الإخوة تلتقط الإشارة، أخيرًا وصلنا مشارف مدينة قندوز قبل أن ندخل في الطريق المسفلت الذى ينتهى بك إلى داخل مدينة قندوز حيث مقر قيادة قوات طالبان، كان في انتظارنا قوات طالبان ومعهم المدرعات المنتشرة على طول الطريق وهم يلوحون لنا وتغمرهم الفرحة والسعادة، بخروجنا من هذا البلاء.

عرفنا شهامة وتضحية الصنعانى ورفاقه وهذا قل ما نجده في مثل هذه المحن تجلى ذلك في الأمير غريب الصنعانى منذ أن فارقنا لإحضار الشاحنات رفض أن ينعم بالطعام والشراب وأن يهنأ بالنوم والراحة وإخوانه ظمأى وجوعى يهيمون على وجوههم بين الفيافى والجبال، وبعد إلحاح كثير من زملائه تناول قليلًا من الماء والطعام، الله الله من رجال عظماء ذكّرونا بالصحابة رضوان الله عليهم.

عند وصولنا إلى مدينة قندوز علمنا بسقوط مدينة كابول وجلال أباد وقندهار وبقية المدن الأخرى ولم تبقى إلا قندوز وكانت هي المعقل الوحيد لقوات طالبان.

وجدنا المدينة في حالة إستنفار، المدرعات تخرج منها إلى محيطها ومنصات إطلاق الراجمات تنصب حولها لتكسر الحصار المضروب من أفراد قوات الجنرال الأوزبكى عبد الرشيد دستم من جهة وأفراد قوات مسعود شاه من جهة اخرى، كانت الطائرات الأمريكية في هذا الأثناء تقصف البيوت والأسواق وأماكن تجمع الناس بعنف لكي يجبروا السكان على إخراج الإخوة العرب منها، كانوا يسقطون

عليهم منشورات فيها صورة الشيخ «أسامة بن لادن» ومعه صور بعض العرب ويكتبون فيها بلغة الأفغان نحن الأمريكان لا نريدكم أيها الأفغان بل نريد العرب، فإذا أخرجتم لنا العرب من مدينتكم نتوقف عن قصفكم ونعتبركم أصدقاء لنا، لكن الشعب الأفغانى في قندوز رفض هذا النداء وقالوا: لن نسلم أى عربى مجاهد فهم يعتبروننا أحفاد الصحابة ويجب إكرامنا وإذا خرج بعض الشباب العرب إلى السوق لشراء بعض الأغراض وعرفهم البائع أنهم عرب يرفض أن يأخذ الأموال قائلًا له أجعلها في سبيل الله مع أنهم من أحوج الناس لها، وبعضهم إذا عرف أنه عربى حن عليه وقال له: أنتم مساكين يا عرب مطاردون في كل مكان لأنكم تجاهدون أعداء الله ولكن كما ترانى أنى شيخ كبير في السن لا أستطيع مساعدتكم ولكن خذ هذه الأموال واجعلها في سبيل الله.

لما كان عدد المجاهدين العرب والجنسيات الأخرى كبيرًا أعدت حكومة طالبان معسكرين لنا لنأخذ قسطًا من الراحة وبعدها نعد أنفسنا للقتال وفك الحصار، كان من المفترض حدوثه ولكن احتارت قوات طالبان ماذا تفعل؛ لأنها محاصرة من ثلاث جهات بقوات الجنرال عبد الرشيد دستم الأوزبكى الأصل من جهه وقوات القائد مسعود شاه من جهة يساندها غطاء جوى كثيف بواسطة المقاتلات الأمريكية.

أيقنت قوات طالبان بأنها أمام حصار محكم من أذناب أمريكا، لذا اضطرت إلى عقد اتفاق مع دستم وهم يعلمون بأن دستم همه الأول والأخير الاستيلاء على مدينة قندوز قبل دخول قوات مسعود شاه، كانت المنافسة شديدة بينهما على من يدخل المدينة أولًا ينال الحظوة والأموال والمكافأة، فقوات دستم محسوبة على الأمريكان وقوات مسعود شاه تتلقى دعمها الكامل من روسيا وإيران وفرنسا على الرغم من أن الطرفين يتمتعان بالدعم الجوى الأمريكى المباشر.

كان الإتفاق بوساطة قائد بشتونى كان مع طالبان وتركهم وانضم لقوات دستم وكان في نفس الوقت متعاطفًا مع قوات طالبان، كان الإتفاق يقضى بمرور قوات طالبان من قندوز إلى مدينة (مزار شريف)[1] التي كانت تحت سيطرة قوات دستم ومنها إلى مدينة (هيرات)[2] ومعلوم أن هيرات هذه كانت تحت إمرة قوات طالبان قبل سقوطها، وافق الجنرال دستم على عبور قوات طالبان بشرطين هما:

١- أن تترك قوات طالبان مدينة قندوز له ولا يأخذها قوات مسعود شاه.

٢- أن يمر عبرها الأفغان، والباكستانين، والأوزبك، فقط دون الإخوة العرب.

رد عليه قادة طالبان بأنه ليس معهم عرب، قال دستم: أذن لابأس.

كانت خطه قوات طالبان أن يمر العرب مع أول دفعة تخرج ويكونوا متنكرين في زي الأفغان مع حلق رؤوسهم ويجعلوا في كل شاحنة نصفها عربًا ونصفها الآخر أفغانًا حتى لا يعرفوا العرب من الأفغان ويكون هؤلاء العرب بداخل الشاحنة والافغان بجانب الباب.

كان من شروط طالبان لدستم أن يحمل العابرون أسلحتهم الشخصية الخفيفة ويتركوا الأسلحة الثقيلة في مدينة قندوز.

تهيا الشباب للخروج، وفعلًا خرجت أول دفعة ومن بينهم **(أبو أيمن اليمني القصير الذي شهد جهاد الروس الأول قتل فيما بعد في القلعة نسأل الله أن يتقبله)** ولكنها عادت أدراجها لظهور بعض المستجدات وبرجوعهم تغيرت الخطة برمتها لأنهم أحسوا بوادر الغدر من دستم، هنا رأت قوات طالبان التحالف مع القائد

(١) مدينة مزار شريف: تقع فى شمال افغانستان وبها قلعة الجنك المشهورة.

(٢) مدينة هيرات: تقع فى الحدود ما بين افغانستان وايران.

المسئول عن مدينة (بلخ)[1] وكان حليفًا لهم من قبل، أتفق الجانبان علي أن يمر العرب جميعًا متجاوزين مدينة مزار شريف المجاورة لبلخ وقد أحضرت قوات طالبان أربع شاحنات لأخذ المجاهدين والتوجه بهم إلى بلخ ليلًا ولكن كانت يد المؤامرة الخسيسة تنسج خيوطها في الخفاء من دون علم قوات طالبان والمجاهدين العرب، وذلك لكثرة المنافقين والخونة المندسين في صفوف طالبان، أحكي لك أخي القارئ تفاصيل هذه المؤامرة باختصار.

عندما تحركنا كان الدليل الذي يقودنا إلى بلخ قد باع هذا الإتفاق وقبض ثمنه، فبدلًا من أن يقودنا إلى بلخ قادنا إلى مشارف بوابة مزار شريف، تعجبنا من هذا التصرف وأجرينا بعده مكالمة هاتفية مع قيادة قوات طالبان وأخبرناهم بأننا أمام بوابة مزار شريف، وتفاجاوا هم أيضًا وأخذوا يسألوننا: لماذا انتم هنا؟ أثناء المحاورة بيننا علمنا منهم بأن الدليل قد خاننا.

جاءت طائرة أمريكية في هذا الأثناء وحلقت فوقنا وشكلت دائرة دخانية في السماء كدليل علي أننا محاصرون نزلنا من الشاحنات فإذا بالساحة مكشوفة عن وراءنا وعن يميننا وعن يسارنا، وعن أمامنا تقف بوابة مزار شريف علي بعد كيلومترات وحولها قوات دستم بكامل عدتها وعتادها.

أخذنا أهبة الإستعداد للاشتباك معهم علي الرغم من أننا في منطقة مكشوفة ليست بها متاريس ولا سواتر نحتمى بها، رأينا من على البعد عن يميننا ويسارنا أرتالًا من الدبابات خلفها قوات مشاة تقف وتنتظر الإشارة.

في هذه الأثناء انطلقت مجموعة أفغانية إلى جهة البوابة لإجراء مفاوضات مع دستم، استمرت المفاوضات زهاء الأربع ساعات، وبعد أخذ ورد وافق دستم على

(١) مدينة بلخ: مدينة مجاروه لمدينة مزار شريف.

مرورنا عبر مزار شريف إلى هيرات وكان يعلم علم اليقين بأننا مجاهدين عرب لأن الخونة سربوا إليه أخبارًا عن وجود عرب مع الأفغان في الشاحنات فقال لنا: لا أسمح لكم بان تعبروا ومعكم الأسلحة فعددكم كبير وأخشى أن تستولوا على المدينة، لذلك يلزم عليكم تسليم أسلحتكم على أن أعطيكم إياها بعد خروجكم من المدينة.

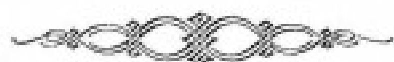
هنا حصل خلاف بيننا، أغلبنا رفض فكره تسليم السلاح وقليل وأفق على التسليم وبعد مشاورات وأخذ ورد واتصالات بالقيادة في قندوز جاءت الأوامر بتسليم السلاح لأن الأمر لا يحتمل الرفض مع هذا الحصار المحكم وقالوا لنا إذا رفضتم أمر تسليم السلاح سيقطع الطريق أمام قواتنا القادمة والتى ستمر من هذا الطريق وقالوا: إن حضورنا إلى هذا المكان كان خطًا.

في بادئ الأمر رفض المجاهدون تسليم أسلحتهم، بعد هذه الورطة قال أمير المجاهدين العرب (غريب الصنعاني) سلموا أسلحتكم طالبًا من بعضنا أن يأخذ القنابل معهم. سلمنا أسلحتنا، فيا له من موقف عصيب! فقد بكى كثيرون من بعد تسليم أسلحتهم وهي تتراكم أمامهم كالجبال.

شاهدنا ونحن نصعد على ظهر الشاحنات سيارات مقبلة نحونا فيها كاميرات قناة الCNN وبعض القنوات الأخرى وهم يتزاحمون لتصويرنا، وكذلك رجال الصحافة والإعلام العالمى والمحلي كل يريد أن يحظى بهذا السبق الإعلامي.

تحركت الشاحنات نحو البوابة الرئيسية وأمامنا سيارات دستم، عند دخولنا بوابة مزار شريف كان في انتظارنا سكان المدينة عن بكرة أبيهم وكانوا يصرخون في وجوهنا ويظهرون سعادتهم لأننا سلمنا أسلحتنا، حلق الرجال لحاهم وخلعت النساء حجابهن، فسبحان الله! فقد كانوا قبل أيام ملتزمون بالشرع وهاهم يستقبلوننا بالشتائم واللعنات. ونحن نشق طريقنا وسط هذه الجموع الغفيرة الناقمه

علينا إلا من رحم ربي، كان بعضنا يحس بالخيانة وبعضنا الآخر يشك وقليل من كان يصدق، أخبرنا أحد الإخوة الأوزبك وقال توجد قلعة عند نهاية المدينة فإذا تجاوزناها فسنكون في سلام وإلا فالخطر سيحدق بنا.



الفصل الثاني

* محلمة قلعة الجنك سبعة أيام تحت النار.

أثناء إجراءات التفتيش وقع دوى انفجار قوى نظرنا مكان الإنفجار فوجدنا ضابطًا ذا رتبة كبيرة وبعض جنده ممددون في الأرض وأجسامهم مضرجة بالدماء وبالقرب منهم جثة أبو أحمد السودانى علي الأرض، علمنا بأن أبا أحمد قد فعلها، حيث فجر نفسه بقنبلة كانت بحوزته.

أبو أحمد هذا رجل أسمر اللون وفيه صفات النبل والكرم والشجاعة وتظهر فيه علامات التقوى والورع وهو علاوة على هذا رجل خلوق كثير الصمت وقد خاض غمار معارك كثيرة عرفته ساحات الوغى، بالشكيمة وقوة البأس، نسأل الله تعالي أن يتقبله، كان لا يثق في نوايا الأعداء من أول يوم تسليمنا للسلاح، أما القائد الكبير الذى قتله فقد كان مطلوبًا لدى طالبان منذ زمن بعيد فقد كان هذا القائد قد قتل كثيرًا من أفراد قوات طالبان والآن أخذ جزاءه على يد هذا البطل المغوار، رأينا أصحابه يبكون وينوحون عليه كالنساء وهو يرغى كالبعير يطلق أنفاسه الأخيرة، أخذ الغضب يتملك أصحابه وهموا أن ينتقموا منا بفتح نيران بنادقهم ليشفوا غليلهم ولكن جاءتهم أوامر من أسيادهم الأمريكان بعدم قتلنا.

بعد هذه الحادثة صدر أمر من الأمريكان لرجال دستم بتشديد إجراءات التفتيش فأسرعوا بإدخالنا إلى قبو تحت الأرض عبر سلم لولبى أنزلونا جميعًا وعددنا يبلغ خمسمائة مجاهدًا وحشرونا في خمس غرف بها صالة كبيرة وممرات ودهاليز دامسة الظلام. إذا أخرجت يدك لم تكد تراها، وبها طاقات ونوافذ صغيرة في الأعلى، مساحتها حوالى ٢٠ ط ٢٠سم تتخللها قضبان طولية وعرضية بصورة محكمة بحيث أنك تعجز تمامًا إذا حاولت تحطيمها ويأتيك من خلالها ضوء الشمس ضئيلًا من مسافة بعيدة جدًا، بينما نحن في هذه الحالة إذ أخذ أحد الإخوة يتحسس قنبلة كانت بحوزته استطاع أن يفلت بها من التفتيش، أخرجها للإطمئنان عليها ولكن

شاء الله بأن ينفك صمام الأمان فانفجرت وسط جموع الإخوة فقتلته هو وأحد الإخوة الباكستانين وحكيم التعزى (وكنيته مقاتل التعزى) أحد المقاتلين البارزين، كان هذا قضاءًا وقدرًا، نسأل الله أن يتقبلهم.

سمع رجال دستم دوي هذا الانفجار وهم في الخارج، ظنوا بأنا نريد التخلص من حياتنا فطفقوا ينادون علينا قائلين لا تقتلوا أنفسكم، لا تقتلوا أنفسكم، بيننا وبينكم عهد وميثاق سوف تخرجون غدًا من هنا وتذهبون إلى هيرات كما وعدناكم، فقط أنتم هنا للتفتيش وأصبح الإخوة ما بين مصدق ومكذب.

كانت هذه الليلة الأولى من ليالي القلعة فيا لها من ليالى عصيبة! رأينا فيها الأهوال وعايشنا فيها مواقف بطولية نادرة وقوة إيمان وثبات على الحق وشوق للشهادة وملاقاة الله تعالى كما ظهرت فيها كرامات سأسرد لك تفاصيلها كل في موضعه إن شاء الله.

❏ اليوم الأول السبت ١٠ رمضان ١٤٢٢ هـ عصرًا:

طلب رجال دستم بأن نخرج إليهم إثنين إثنين وهم في الطابق العلوي، خشينا أن تؤدي هذه الطريقة للتعرف على العرب، فكرنا في أن يكون أحد الإثنين عربيًا والآخر باكستانيًا أو أفغانيًا وعند الحديث والحوار يلتزم العربى جانب الصمت ويتكلم الباكستانى أو الأفغانى حتى لا ينكشف أمر العرب.

كنا لا ندرى ما يحدث لهم هناك، فالذى كان يحدث في الطابق العلوى أن الأخوين عندما يخرجان من الباب ويغيبا عن الأنظار يهجم عليهما خمسة من كلاب دستم المدججين بالسلاح ويضربونهما ضربًا مبرحًا ويخلعون منهما كل شئ ساعات، حافظات، نقود، أحذية، عمائم، نظارات سترات واقية للبرد ويتركون لهما الملابس الساترة فقط «السروال الأفغانى والقميص» ثم يعيدون الكرة في

التفتيش بعد أن يقيدانهما بالعمائم في العضد ويشدون يديهما إلى الخلف حتى يؤدى ذلك إلى إيقاف الدم في العروق، هذا ما كان يحدث لإخواننا في الخارج.

وتتوالى العملية على هذه الوتيرة ونحن لا نعلم ما يحدث في الخارج، خشيت بان يعرفوا أن هناك جنسيات أخرى غير الباكستانين معهم وأنا كنت الأسمر الوحيد بينهم بعد رحيل أبو أحمد السوداني وخشيت أن أكون سببًا في انكشاف أمر بقية الإخوة العرب، فكرت في حيله لثمت وجهي بالعمامة وخرجت مع باكستانيين إثنين أحدهما كان مصابًا والآخر صحيح، طلبت من الأخ المصاب أن يستند عليّ، ادعيت بأننى أمارضه في حين يتولى الباكستانى الآخر الحديث معهم وألتزم أنا جانب الصمت لأنني لو تكلمت العربية سينكشف أمرى وأمر بقية الإخوة العرب، ولكن باءت خطتى بالفشل لأنهم مجرد أن وصلتهم نزعوا لثامي وتفاجؤوا بلوني الأسمر فصاروا يصرخون عربيان.. عربيان.. عربيان وجردوني من كل شئ إلا إزاري وردائي وأسرعوا في تقييد عضدي والركلات واللكمات تتوالى عليّ من كل جهة وهم مستمرون في صرخاتهم عربيان عربيان كأنهم وجدوا ضالتهم في شخصى وأنا أقول لهم: نهى عربيان.. بلوشى.. بلوشى.. بلوشى والمقصود لست عربيًا لست عربيًا إنما أنا بلوشستانى وقلت بلوشستانى لأن بلوشستان قبيلة باكستانية يميل لون أفرادها إلى السمرة، المهم أخذوا يتناوبون علي بالضرب والصراخ إلى أن خرجت الى الساحة.

وجدت إخوانى الذين سبقونى مقيدين يتألمون من شدة وطأة القيد عليهم وكل واحد يتمنى أن يرخى له القيد قليلًا حتى يرتاح مما هو فيه من الآلام بسبب احتباس الدم في العروق، بعضهم أغمى عليه بعضهم خدرت أيديهم لفترة طويلة وأعداء الله لا يبالون برجاءاتهم اليائسة. كان يقف أمامهم أمريكي ضخم الجثة يتدلى من علي رقبته سلاح (G٣) وفي يده دفتر يسجل عليه البيانات، كان أول ما وقع علية نظري

هذا المنظر وأنا خارج إليهم، قادوني الى ضابط كبير، أشار إليهم الضابط أن يجلسوني في مقدمة صفوف الإخوة المقيدين، أتذكر أنني جلست قرب أحد الإخوة القطريين يدعى أبو ثابت، سألته بصوت خفيض ما الأمر؟ رد علي بصوت أخفض من صوتي قائلا: أسكت.. أسكت لا تتحدث العربية، عند انتهائه من كلامة رأيت الأمريكي يتجه نحوي وقف أمامي مباشرة وانا أتلوى من شدة الألم سألني ما اسمك؟ احترت بأي لغة أجيبه، فإن تكلمت بالعربية سينكشف أمري، وفجأة خطر ببالي أنني أجيد اللغة النوبية وهي لغة أجدادي الدناقلة في شمال السودان، شرعت أكيل عليه الشتائم واللعنات بالنوبية وهو ظل يردد: ما اسمك؟ ثم يردف سائلًا: من أى البلاد أنت؟ وأنا مستمر في الشتائم واللعنات والإخوة المقيدون حولى يضحكون رغم الآلام ومندهشون من هذه اللغة ومن أين جاء بها هذا السودانى! فهم سلفًا يعرفون أننى أتحدث العربية، ثم يواصل هذا الأمريكى أسئلته ويقول: كم عمرك؟ وأرد عليه بأقزع أنواع السباب وهو يتخيل بأننى أجيب على أسئلته، ويواصل.. أأنت نيجيرى، مالي، سودانى، وعندما يئس مني سمعته ينطق بكلمة أفريقي ويسجلها في دفتره ويذهب لغيرى.

تأكدت تمامًا ممايحصل بالخارج، أخرجوا أغلب الشباب من القبو ووضعوهم في شكل صفوف هيئة الواحد منهم وهو جاث على ركبتيه ويديه مقيدتان ومشدودتان إلى الخلف كهيئه وضع الجنين وهو في بطن أمه، فيا له من منظر مؤثر يندي له الجبين ويثير في النفس الشفقة والرحمة. إنتهكت آدميتنا بهذه الطريقة المهينة التي لا تحدث حتى على الحيوانات. رأيت وأنا في هذه الحاله بعض الأفراد يقودون الأمريكى المجاهد جون ووكر وهو مايزال بلباس المرضى؛ خصصوا له مكانا وعليه الأغلال وكان بعيدا عنى قليلا، لا أذكر إن كان جالسًا على الارض أم على مقعد كانت كاميرات الCNN وغيرها موجهة نحوه وبعض

الأمريكان يحققون معه، وفى مكان قريب من البوابه أيضا رأيت سليمان الشيشانى (قتل فيما بعد في روسيا بعد أن خرج من غوانتنامو) وكان فيه ملامح من جون ووكر وأيضا يحققون معه، وكان تحقيقهم معهم يختلف عنا باعتبار أنهما غربيان وتفاجأ بهما الأمريكان لاسيما جون ووكر.

كانت ساحة القلعة مليئة برجال دستم والمخابرات الأمريكية والقنوات الفضائية المختلفة وأفراد من الصليب الأحمر (الأسود) الدولي، ضربت حولنا ثلاثة أطواق من الحراس المدججين بالسلاح، الطوق الأول حولنا مباشرة يليه الطوق الثانى، أما الطوق الثالث فهم القناصة الذين كانوا ينتشرون فوق أسوار القلعة.

خرج جميع الإخوة من القبو إلا (الأسود الأوزبكية) كانت تشم رائحة الخيانة من أول لحظة -لأنهم يعلمون صفات الجنرال دستم تماما، كيف لا؟ وهو من بني جلدتهم وقد حاربوه من قبل- ولم يخرجوا في بادئ الأمر بل اجتمعوا مع أميرهم وتبايعوا على الموت، اتفقوا على حيلة بأن يرسلوا أحدهم يستطلع الأمر وإن قبض عليه للتفتيش يرفع صوته عاليًا ليخبرهم بالحاصل حتى يخرجوا جميعًا للإشتباك، صعد الأخ إلى أعلى، قبضوا عليه وقيدوه وأخذوا ما معه هنا رفع صوته عاليًا حتى يُسمع بقية الأسود وأخذ يصيح بأعلى صوته قائلا: لماذا نقضتم عهدكم؟ ولماذا الخيانة؟ أنتم قلتم لنا ستذهبون إلى هيرات.. لماذا الخيانة؟

هنا قامت الأسود الأوزبكية قومة رجل واحد واتجهوا نحو ممر عبارة عن سرداب يؤدى إلى باب آخر يخرجك من تحت الأرض، وجدوا الباب موصدًا أمامهم، حاولوا تحطيمه ولكنهم لم يفلحوا، عادوا أدراجهم مره أخرى مندفعين كالسيل الجارف وهذه المره نحو باب السلم اللولبى صعدوا إلى أعلى واتجهوا نحو الحراس الذين كانوا يقيدون الإخوة وهجموا عليهم بكل ثقلهم، وأخذوا يلقون عليهم القنابل التي كانت بحوزتهم وسط تكبيرات تهز أركان القلعة، عندما

سمعنا دوى القنابل وأصوات التكبيرات امتلأت نفوسنا بالحماسة والتضحيه للفكاك من هذا الوضع المذل ولكن أعداء الله لم يمهلونا وشرعوا يفتحون نيران أسلحتهم على المقيدين يحصدوهم بدم بارد يعاونهم في هذا أفراد من الاستخبارات الأمريكيه.

وبخروج الأسود الأوزبكية إلى الساحة فُتحت عليهم نيران جهنم واشتعلت القلعة وأخذت تغلى كالمرجل واختلط الحابل بالنابل واختلط صراخ الناس وهدير الرصاص، ودوى القنابل والرصاص يتساقط على المقيدين من كل صوب والناس مابين قتيل وجريح وهارب وزاحف على بطنه وسط القتلى والجرحى وقذائف ال (آر_ بي_ جي) تخترق أجساد الإخوة المقيدين وغير المقيدين. كانت معركة شرسه قتل فيها الكثير من الإخوة من بينهم أميرنا غريب الصنعانى حيث استقرت إحدى القذائف (آر-بي-جي) في صدره.

فى غمرة هذه الأحداث الرهيبة رأيت بطولات نادرة وشجاعة وإقدام من بعض الإخوة مثل مثنى الحربى كان شابًا صغير السن وقد هجم على جندى للقضاء عليه ولكن لقى حتفه في الحال، ولا أنسى طلحه المكى هجم على جندى أيضًا وهو مقيد وقد قتل هو الآخر أيضًا، رأيت أيضا أحد الإخوه ويكنى بأبى العطاء اليمني (طالب علم من مدينة تعز) استطاع أن يتحرر من قيده ويمتطي حصانًا أبيضًا ويشق جموع الأعداء محاولًا أخذ السلاح منهم ولكن عاجلوه بإصابة قاتلة. . الله. الله من شباب قدموا أرواحهم فداء لنصرة الحق.

أرجع بك أيها القارئ مره أخرى إلى ذلكم الضابط الأمريكي (جوني مايك سبان) الذي كان يتولى التحقيق مع الإخوة في الساحة، كان هذا الرجل ذو مكانة رفيعة ورقمًا لا يستهان به في الإستخبارات الأمريكية، جاء إلى أفغانستان منذ ١٣عامًا ليدرس العرقيات والثقافات الأفغانية وطبيعة البلاد وأخلاقيات أهلها وكان

يرفع تقارير دقيقة إلى الإدارة الأمريكية أولًا بأول، وعندما احتدمت المعركة بين الإخوة والحراس كان هو من ضمن الذين كانوا يفتحون نيران بنادقهم على المقيدين بلا رحمة.

كان يراقب هذا الموقف شاب يمنى صغير السن وهو في القيد ويدعى مهند التعزى (كان مسؤولا عن الإعلام في شمال أفغانستان) وقد كان حافظًا لكتاب الله ومعلمًا لنا، كان تقيًا ورعًا عابدًا زاهدًا فيه نبل وشجاعة أهل اليمن أحسبه والله حسيبه. وجد مهند الإستخبارت في عراك مع أحد الإخوة على الأرض، كان يراقب كل هذا عن كثب لم يحتمل هذا الموقف ونهض ودار حول نفسه في لمحة عين ونزع مسدس الأمريكي المعلق في الجيب الخلفى وأفرغ ما به وجندله على الرغم من أن يديه كانتا مقيدتين، هنا لمحه أحد الأمريكان الذى كان يقف على مقربة منه وقتله في الحال وقتل الأخ الآخر، كانت هذه أيضًا إحدى الملاحم البطولية النادرة حيث استطاع هذا الشاب أن يقتل عضوًا كبيرًا في الإستخبارات الأمريكية، كان يلقب بثعلب أفغانستان وبعد مقتله أطلق عليه (أسد القلعة). رأيت فيما بعد في غرف التحقيق في شاشات العرض تشييع جثمانه وكان يسير خلفه جورج بوش وهو يكفكف دموعه، رأيت هذا في معتقل غوانتنامو.

وبينما رحى المعركه تدور على هذا المنوال إذا بي أحس بطلقه تأخذ من لحم ظهرى بأعلى الحوض، قلت في نفسى إنها ساعة الشهاده طفقت أهلل وأهلل، وبينما أنا كذلك سمعت أحد الإخوة الليبين (عبد السميع الليبي) وهو من الأسود الثائرة يهتف بأعلى صوته قائلا: قوموا قومة رجل واحد ولا تموتوا ميتة الدجاج، فكبرنا وقمنا وصار كل واحد يفك قيد أخيه بأسنانه ويقوم هو بدوره بفك قيود الآخرين وهكذ تم فك قيود جميع الإخوة. بعدها تفرقنا، ذهب نصفنا نحو البوابة الرئيسية ونصفنا الآخر لجأ إلى وسط الأشجار داخل القلعة، كانت المجموعة التي

على الباب تظن بأن من هم تحت الأشجار قد قتلوا وكانت المجموعة التي تحت الأشجار تظن أن من هم عند البوابة قد قتلوا.

بدت الساحة خالية إلا من القتلى الذين هم في قيودهم، انسحب رجال دستم إلى الأسوار العالية وبدؤوا يفتحون نيران أسلحتهم تجاه البوابة ونحن تحتهم مباشرة ولا يروننا، هنا استشعرت عظمة الله ولطفه بنا وإستحضرت قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[١].

ساعتئذ جاءت طائرة أمريكية ضخمة كنا نسميها «الجاموسه» وألقت أطنانا من المتفجرات وسط القلعة، كنت من ضمن المجموعة التي احتمت بالأشجار، كنا نبحث عن منفذ يخرجنا من هذا الجحيم ولكن دون جدوى فالقلعة أسوارها عالية وسميكة لدرجة أن الدبابات يمكنها أن تتحرك من فوقها وفى كل ركن تقف أبراج شاهقة يتمركز حولها رجال الجنرال دستم، والجزء الأسفل من هذه الأسوار عبارة عن مخازن أسلحة كانت لطالبان قبل سقوط مزار شريف ثم استحوذ عليها دستم وهى مليئة بالذخائر كما أن بعض الغرف كانت تستخدم كاسطبلات للخيول. تتبع بعض الإخوه مجرى نهر صغير كان يمد القلعة بالمياه العذبة لسقاية الأشجار والخيول، حاول الإخوة الخروج منه إلى الخارج وقد نجح بعضهم. حصل هذا وهم فوقنا ولا يروننا والمعركه تدور رحاها بينهم وبين إخواننا الذين استولوا على البوابة وكان بإمكانهم الخروج عبرها ولكن علموا أن خروجهم سيوقع بهم في قبضة القوات التي تحيط بالقلعه من رجال دستم والأمريكان، لذلك فضلوا البقاء بالداخل مع استحكام السيطرة على البوابة.

رأيت عدة مواقف بطولية وشهامة نادرة لا أنساها أبدًا، منها أنى كشفت ظهري للإخوة طالبًا منهم أن ينظروا إن كانت هناك شظية أو رصاصة ظاهرة ليخرجوها

---

(١) سورة يس الآية رقم (٩).

وفي ظني أنني أشدهم إصابة حتى رأيت أحد الإخوة المغاربة ويدعى نجيب المغربي يحمل ذراعه اليمنى المكسورة وهي معلقة على الجلد فقط وهو يسأل ويبحث عن سكين أو زجاج أو أي شئ حاد لكي يقطعها وحين لم يجد مايريده وضعها تحت رجله وأخذ يشدها بكل قوته ليتخلص منها ولما فشل في ذلك أخذ يمدها للإخوة طالبًا منهم قطعها وبينما هو في هذه الحال إذ ألقت طائرة أمريكية قذائف شغلتنا عن قطع يده وكان هذا خيرًا له، وفيما بعد تقابلنا في غوانتنامو فوجدت يده وقد تحسنت قليلا وبعد أن أفرج عنه أدخل إحدى المستشفيات في بلاده وأجريت له عملية جراحية ناجحة وعادت يده سليمة، سبحان الله! كان يريد شيئا والله تعالى يريد له شيئا آخر.

وموقف آخر حيث رأيت الإخوة عندما اشتدت عليهم زخات الرصاص وقذائف ال (آر - بي - جي) وأيقنوا بأن لا مفر لهم من الموت أخذوا الحجارة واتجهوا بها نحو أحد الأبراج وبدؤوا يرشقون الجنود لإجلائهم من مراكزهم ويرد عليهم الجنود بوابل من النيران وهم يختبئون مرة ويظهرون مرة أخرى من خلف البراميل و الجنود يتقون هذه الحجارة التي تتساقط عليهم كالمطر، واستطاع رجال دستم قتل عدد منهم (عطية الزهراني) أما البقية التي لم تصب أو تقتل انضمت إلى إخوانهم عند البوابة.

أما الموقف الثالث فكان من أحد الإخوة المغاربة الأوفياء حيث رأى صديقه (فاروق المغربي) مضرجًا بدمائه في منطقة مكشوفة، أخذ يزحف نحوه وعندما وصل إليه أغمض له عينه وقبله في جبينه ثم عاد إلى مكانه وهو لا يبالى بالرصاص المتساقط من كل مكان. فيا لها من صداقة ومحبة في الله! لله دره من رجل.

وجدنا نحن بين الأشجار قاذف (آر- بي - جي) مع قذيفته صوبناها نحو العدو المتمركز فوق الأسوار، حاولنا إطلاق القذيفة عدة مرات ولم نفلح وذلك لأن

القذيفة كانت رطبة فتركناه والرصاص يتساقط علينا من كل جوانب القلعة بطريقة عشوائية وقتلت عددًا من الإخوة أمام عيني.

وأتذكر موقفًا آخر، في خضم هذه المعركة جاءت رصاصة طائشة على أخينا دحية اليمني (نسأل الله أن يفرج عنه من غوانتنامو) وسلخت جانب جبهته اليمنى وسقط بين الحشائش، ظننته قد قتل، فقلت لمن: حولى دحية قتل، فقام من فوره وقال: أنا ما قتلت يازول، وعلت وجوهنا ابتسامة سريعة.

هبط الليل علينا بأستاره المظلمة والقتال يدور والطائرات تقصف مواقعنا، في هذه الأثناء أخذت أزحف لأصل إلى إخواني عند البوابة قاطعًا الساحة الملتهبة التي تفصل بيني وبينهم، ومعلوم أن كل من يظهر في هذه الساحة يكون هدفًا سهلًا للعدو، لأن أرضها مكشوفة، سلكت جانب الساحة أخذت أزحف بين القتلى المقيدين ولا أرفع رأسي، وفجأه انفجرت إحدى الشاحنات التي أقلتنا وأنارت الساحة، وما كان مني إلا أن تظاهرت بأني ميت بين القتلى إلى أن هدأت النيران، وواصلت الزحف متوقعًا أن تقتلني رصاصة أو قذيفة طائرة في أى لحظة، أثناء زحفى وجدت نهرًا أمامي وبكل هدوء دخلت الماء وقطعته كالتمساح ورأيت أحد الإخوة (يوسف الشهري ﷺ الذي قتل مؤخرًا في الحدود اليمنية السعودية) خلفي وفعل ما فعلت.

وقتئذ وجدنا الإخوة يحطمون أبواب المخازن القابعة تحت الأسوار بحثًا عن الأسلحة والذخائر بعد أن تمكنوا من تحطيم أبوابها وجدوها مليئة بمختلف أنواع الذخائر، وأخيرًا وجدوا مخزنًا في ركن قصي به مدفعًا هاون وذخيرة بكميات وفيرة، حملوا ذينك المدفعين ونصبوهما على أحد أركان القلعة على مقدار ۹۸ درجة، لأنك إذا أطلقتها بدرجة ۹۰ تنطلق القذيفة عموديًا وترتد إليك لتصيبك وأما إذا أطلقتها على مقدار ۹۸ درجة تقع إما فوق السور مباشرة أو خارجه، كانت هذه فكرة الأوزبك.

كان الأعداء يتمركزون حول الأسوار ودباباتهم تنتشر بكثافة وأعداء الله يحاولون التسلق بعد أن أجبرناهم على النزول، بدأ الأوزبك في تشغيل المدفعين وبقية الإخوة يجلبون لهم القذائف من المخازن المليئة بها، فتسقط فوق الأسوار وخارجها، حدث ارتباك في صفوفهم حيث كبدناهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد قتلنا حوالي ثلاثمائة عنصرًا منهم باعتراف الجنرال دستم، كما قتلنا حوالى خمسة عشر آخرين من عناصر القوات الأمريكية الخاصة المتعاونين معهم، فيما بعد سألنا أنفسنا مندهشين هل كان في إمكاننا قتل كل هذا العدد؟! سبحان الله! كنا نريد قتالهم حينما طلبوا منا تسليم السلاح لكن تراجعنا حين رأينا الطائرات تحوم فوقنا ودبابات العدو على يميننا ويسارنا والساحة مكشوفة وموقعنا صعب وليس في إمكاننا النيل من أحدهم لذا كان تسليم السلاح خيرًا لنا.

نعود إلى إخواننا في البوابة فقد أظهروا بطولات قلما تجدها عند الرجال، فقد ضربوا أروع الأمثال في الاستبسال والتضحية والثبات فقد ظهرت معادنهم وقوة بأسهم وشكيمتهم، نصبوا عند البوابه مدفع (BM)[١] وكلما حاول العدو الدخول عبرها بمدرعاته الثقيلة ردوهم على أعقابهم صاغرين وبقية الإخوة يستخدمون سيارة بها سلاح مضاد للطيران «دشكا» (كان عليها خطاب اليمني نسأل الله أن يتقبله) لتطهير الأسوار من هؤلاء الأنجاس الخونة. ومن المواقف المشرفه التي تدل على الشجاعة أنه كان هناك سلاح خفيف «كلاشنكوف» مرتكز في إحدى فتحات القلعة ويقف خلفه ما يقارب العشرة، من الإخوة إذا قتل الرامي يحل محله آخر من هؤلاء العشرة حتى قتلوا عن آخرهم ولا أدري أسحب هذا السلاح من مكانه أم ترك؟ وحينها كنت مضرّجًا بدمائي بين المدفعين حاولت أن أساعدهم في جلب القذائف

(١) BM: هى احدى الصواريخ التى تطلق من منصه ثابته على الارض وتعرف عند العرب، الراجمات او الكاتيوشا. وعند الافغان الواحد منها تسمى BM.

ولكنني لم أستطع بسبب الإصابة، كانت الأرض تهتز من حولى ودوي المدافع يصك الآذان وأنا في هذه الحال كنت أسمع الإخوة يقولون لى: قم.. تحرك إلى الداخل، قم.. تحرك إلى الداخل، وأنا مصر على المشاركة بقدر ما أستطيع إلى أن جاءنى أحد الإخوة ويدعى أبو عيسى الجداوي واسمه فارس، (قد قتل فيما بعد) وحملني إلى داخل القبو.

حين دخولي القبو وجدت الغرف والممرات مليئة بالقتلى والجرحى والمكان مظلم ولا تسمع إلا ابتهالات الجرحى ولا تشم إلا رائحة المسك،لم أجد سوى عربي واحد وهو أبو ثابت القطرى الذى كان يقول لى إسكت ولا تتكلم العربية عندما كنا مقيدين في الساحة وقد قتل أيضا فيما بعد، سألته عن الإخوة العرب أشار إلى بأنهم في الغرف المجاورة، زحفت وسط الجرحى والقتلى حتى وصلت إليهم إتخذت مكانًا في وسط الغرفة والمكان يلفه ظلام دامس ولا تسمع فيه إلا دوي المدافع والطلقات.. سمعت هاتفًا من أحد الإخوة يخبرنى ولعله أبو الوليد المكي (نسأل الله أن يفرج عنه من غوانتنامو وهو صديق عمار المكي الذي قتل في القلعة) يقول: صديقى أبو يعقوب الأردنى بجواره وهو جريح هممت بأن أتحدث معه ولكن أجلته بسبب الإرهاق الشديد والأرق، بعد فتره أخبرنى أبوالوليد بأنه مات متأثرًا بجراحه حيث كان مصابًا إصابة بليغة بقذيفة اخترقت بطنه وأخرجت أحشاءه، تحسرت بأننى لم أتمكن من الحديث معه في حينه وأسمع صوته، كان هذا الصديق قد أوصانى قبل دخولنا القلعة أن أخبر عمه المقيم في ألمانيا في حالة ما إذا قتل أن أخبر والديه في مدينة الكرك بالأردن، كان قد أعطانى اسم المدينة التي يقيم فيها عمه بألمانيا واسم المسجد الذى كان يتردد عليه ولكن في خضّم هذه الأحداث المتوالية ضاع مني العنوان ولست أدري إن كان أهله قد علموا بمقتله أم لا. وفى غوانتنامو وجدت أحد أفراد الصليب الأحمر (الأسود) الدولي أردني

الجنسية ويقطن مدينة الكرك أخبرته عن مقتل أبي يعقوب الأردني ليبلغ أهله في الكرك، إلا أن رده كان عجيبًا لم أتوقعه، قال لى لا أستطيع أن أخبر أهله إلا ان تحضر لي شهادة وفاة ولكن أنى لى أن أحضر شهادة الوفاة؟ فيا له من طلب مستحيل! أسأل الله أن يكون أهله قد علموا بمقتله وأن يثبت أفئدتهم.

❑ اليوم الثانى الأحد ١١ رمضان ١٤٢٢ هجريه:

طيلة فترة الليلة السابقة لم يتوقف القتال والإخوه في مواجهة الطيران الأمريكي والجيش الدستمي إلى أن حل الظلام وهدأت الأحوال وقلت أصوات الرصاص نسبيًا في هذا الوقت رتب الشباب أوضاعهم وتقسموا إلى مجموعات الباكستانين حول أميرهم والأوزبك حول أميرهم أيضا وكلهم تحت إمرة أخينا الأمير عبد العزيز النعماني اليمني وذلك بعد مقتل أمير الجماعه غريب الصنعاني في الإشتباك الأول رحمه الله. بدأ القتال بيننا وبين الأمريكان المدججين بالأسلحة والطائرات تقصف وتدمر بعنف والإخوة يحتمون من نيرانهم تحت أسوار القلعة الشامخة وكذلك رجال الجنرال دستم العملاء يفتحون النيران علينا وهم يقفون في خندق واحد معهم.

من المعلوم أن الأمريكان حين تحرك الإخوة وفكوا قيودهم وقتلوا أربعة منهم لاذوا بالفرار وفى صحبتهم عناصر الصليب الأحمر (الأسود) وبقي في الساحة أفراد من تلفزيون الـ CNN يصورن مشاهد القتال العنيف والقنابل تتساقط هنا وهناك والرصاص يمر من أمامك ومن خلفك وتحت أرجلك ولا تسمع إلا صوته ولا تشم إلا رائحة البارود. خرجت قناة الـ CNN بحصيلة ضخمة من المشاهد الحقيقية الحية للقتال حيث الجثث تتساقط والأجسام تتمزق وتتطاير أشلاؤها، الذى يرى هذا الفلم يظن بأنه نوع من أنواع الخدع السينمائيه وفي واقع الحال هي

كانت أحداث حية وهي الآن موجودة لدى الإستخبارات الأمريكية A.I.C، وقد شاهدت بنفسى هذا الفلم في غرف التحقيق في غوانتنامو، وقد أشاد المحققون والضباط الأمريكان ببسالة هؤلاء الإخوة وشدتهم في القتال.

نرجع إلى موضوعنا وهو بداية اليوم الثانى، كنت ملقيًا على بطني بسبب الرصاصة الغادره التي جاءتنى من الخلف واستقرت في بطني وما علمت بوجودها إلا بعد عامين حاولت أن أقف على رجلي مرارًا لأداء الصلاة ومعاونة إخوانى الذين يقاتلون في الخارج وليس معهم إلا القليل من السلاح، بينما القوات الأمريكية تستخدم سلاح القنص ذو المناظير الليلية، كلما أصيب أحد الاخوة أدخلوه إلى القبو، بين الفينة والأخرى كانوا يأتون بجريح حتى أخذ عدد المجاهدين يقل في الخارج، وإذا قتل أمير نصبوا آخر مكانه. طبعًا لم نأكل منذ أن دخلنا القلعة إلا قليلًا من الأرز وأخذنا جرعات قليلة من الماء، ولما اشتدت بنا وطأة الجوع عمد بعض الإخوة إلى خيل فذبحوه وطبخوه على أغصان الشجر ووزعوه على الإخوة، كان هذا آخر طعام ذقناه لمدة سبعة أيام.

أخذ يزداد عدد الجرحى شيئا فشيئًا حتى ضاقت الممرات والغرف من جراء القتال المستمر وتساقط الإخوة بإستمرار، والدعم والمساندة مستمرة من الأمريكان بالأسلحة الحديثة خاصة القناصات المحمولة عليها المناظير الليلية والطائرات التي ترمى أطنانًا من المتفجرات، مع ذلك استطاع المجاهدون أن يلقنوا العدو درسًا لن ينسوه من فتية آمنوا بربهم فهم صغار في الأعمار كبار في الأعمال، نعم والله لقد رأينا الشجاعة والبسالة من أناس لم نحسب لهم حساب، أخذ الأسود يواجهون هذه القوه بقوة الله ثم ببعض الأسلحة الثقيلة التي كبدت العدو خسائر فادحة. نعم استطاع هؤلاء الفتية السيطرة على القلعة ونصبوا على بواباتها صواريخ

S.P.G.Nay » كلما حاول العدو الدخول أو الإقتراب من البوابة أطلقوا عليه الصواريخ لتدمر دباباتهم فعلموا بصعوبة الإقتحام من ناحية البوابة الرئيسية.

بعد أن استتبت الأوضاع نسبيًا في القلعة تشاور الإخوة فيما بينهم بإعداد خطة للهجوم على مدينة مزار شريف مع تباشير الصباح الباكر أى صباح اليوم الثالث ليتحرروا من هذا الحصار المضروب عليهم وكذلك من أجل مناصرة إخوانهم الأفغان المحاصرين في مدينة قندوز. بعد أن فقدنا مائة وخمسون من المقيدين بقى في القبو مائتي مقاتل مائة منهم جريح ومائة قتيل. وضعت الخطة للهجوم ثم أرسلوا من يخبرنا داخل القبو بذلك ويطلب كل من يستطيع من الإخوة الجرحى المشاركة حدث كل هذا عند منتصف الليل على أن يبدأ تنفيذ الخطة مع بزوغ فجر اليوم الثالث، فجأه وقبل أن نستجمع قوانا جاءت فرقة قناصة أمريكية خاصة مزودة بأسلحة كاتمة للصوت ومنظار ليلي وأجهزة حديثة تكشف موقع أى هدف متحرك تحت ستار الظلام وأخذت تستهدف الإخوة وتصيبهم في رؤوسهم فقط، وبدأ الإخوه يتساقطون الواحد منهم تلو الآخر وهم لا يعلمون من أين يأتى الرصاص؟! فجأه توقف القنص وبقى قليل من الإخوه الذين لزموا مكانهم، وبعد أن انتهت الفرقة الخاصة من مهمتها جاءت الطائرات الأمريكية وحلقت فوق القلعة وبدأت في إطلاق الصواريخ والقذائف الموجهة بدقة في جميع أنحاء القلعة بما فيها المخازن الخاصة بالأسلحة وكانت تلك الأسلحة عجيبة في مفعولها، كانت تحمل ماده تمحى الأخضر واليابس من الأشجار الكثيفة بحيث بدت ساحة القلعه خالية من أى نبات، كانت الطائرات ترمي وتذهب في السابق، أما هذه المره كأنهم قرروا الإبادة فصارت ترمى الأطنان من القنابل العنقوديه مع الصواريخ الموجهة لكى تخترق أبواب المخازن، اشتعلت المخازن واحدًا تلو الآخر بطريقة رهيبة، من شدة الإشتعال كانت النيران الكثيفه تضئ مداخل القبو تلفح حرارتها من كان

بالقرب من الباب، كان أمرًا رهيبًا لا يستوعبه العقل ولا تصدقه العين، والأعجب من كل هذا أن المخازن كانت مليئه بذخائر الأسلحة الثقيلة دبابات و راجمات و هاوناتو صواريخ (الـ BM) و ذخائر دوشكا و وشلكا. . يا للهول! رأينا منظرا لم نصدقه ولم نراه من قبل أبدا، هل تصدق عزيزى القارئ عند إنفجار المخازن وشدة الحرارة والاشتعال وكثرة الإنفجارات إنطلقت الصواريخ والذخائر الثقيلة والخفيفه وأخذت تدمر جدران المخازن وتنطلق إلى أعلي، منها التي تنطلق الى ناحية مزار شريف ومنها التي تنطلق داخل القلعة ومنها التي تنفجر في محيط القلعة ومنها. . ومنها، استمرت هذة الانفجارات عدة ساعات ولسان حالهم يقول عليّ وعلي أعدائي.

أرسل المجاهدون الذين في الخارج إلى إخوانهم الجرحى الموجودون تحت الأرض (القبو) يدعون من يستطيع حمل السلاح بأن يخرج للمشاركة حتى ولو كان مبتور الأرجل ويخبرونهم بأنهم قد تعرضوا لهجوم مباغت وفقدوا كثيرا من الإخوة. تحرك من استطاع من الجرحى للمشاركة، أتذكر هذا اليوم جيدًا، كان يمارضنى أحد الإخوة (محمدعبدالله الشنقيطي) من أبناء المدينة المنورة يبلغ من العمر ستة عشر عامًا وكان مصابًا في ظهره، حين سمع النداء انتفض ناهضًا كالأسد وقال لي: استميحك عذرًا وخرج ولم يعد بعدها، علمت لاحقا بأنه قتل بعد أن أثخن في الأعداء، كذلك كان معنا تحت الارض فلسطينيان خرج أحدهما للمشاركة في القتال وقتل والآخر كان يطبب الإخوة ويداوي جراحهم وحين سمع بمقتل أخيه خرج هو الآخر وقاتل بضراوة حتى قتل، تأسفت لمقتله لأنه كان الوحيد الذي لديه خبرة في مداواة وتجبير الكسور والجميع مصابون إلا النفر أو النفرين.

الآن الإخوه الذين يقاتلون في الخارج صار عددهم قليلًا جدًا والقلعة كبيرة وقد

جاء المدد للأعداء يساندهم غطاء جوي كثيف، دخلت المدرعات تتبعها حشود من الجند إلى ساحة القلعة والبقية الباقية من الإخوة بين حطام الأشجار وخلف الأبواب.

أتوقف هنا أيها القارئ حتى أوضح لك لماذا استعملوا كل هذه القوة؟ ولماذا هذا التوقيت بالذات؟ وكيف عرفوا خطتنا لمهاجمة مزار شريف؟

دعني أرجع بك إلى الوراء قليلًا، في اليوم الأول عند اندلاع القتال طبعًا حدث هرج ومرج واختلط الحابل بالنابل واضطربت الأوضاع، في هذا الوضع الهائج أخذ كل واحد يفكر في النجاة بنفسه من هذا الجحيم الذي فتح والرصاص يتوالى من كل الإتجاهات وكل يتوقع أن يقتل في أي لحظة، في غمرة هذه الأحداث اضطرب بعض الجنرالات من رجال دستم واحتارو في امرهم وأى مكان يلجاؤن إليه، هرب أحدهم ودخل أول مدخل قابله ونزل بالسلم حتى وصل الطابق السفلي تحت الأرض (القبو) وجلس في ركن قصي يلفه الظلام ودخل أيضًا من الإخوة الجرحى من دخل وأخذ عددهم يتزايد وهذا الشخص يسمع ما يدور بين الإخوة ويتصل مع قاعدتة بجهاز لاسلكي متطور جدًا وينقل لهم ما يدور تحت الأرض وظل على هذه الحال حتى سمع من الإخوة خطة هجوم مزار شريف وعلى الفور أبلغ قيادته والأمريكان بما سيحصل، لم نكن نعلم ذلك لعدة اسباب:

أولًا: الظلام الدامس.

ثانيًا: الجنسيات المختلفة واللغات المتباينة.

ثالثًا: كلنا جرحى ومشغولون بأنفسنا.

لم نكن نعرف بوجود هذا الرجل إلا بعد أن جاءت الطائرات في اليوم الثاني وألقت أطنانًا من القنابل على المخازن وتسلل اللهب وأضاءت بعض المداخل

والممرات تحت الأرض، في هذه الأثناء كان أحد الإخوة بجوار هذا الجاسوس ومع انبعاث الضوء لمح وجه الجاسوس فاذا هو حليق اللحية غير مألوف لديه بين الإخوة، فعمد إلى كشاف صغير ضئيل الضوء وسلطه على وجهه ليقطع الشك، بعدها تأكد تمامًا بأنه أحد رجال الجنرال دستم، وقبضو عليه وفي اثناء التفتيش وجدوا معه الاف الدولارات، وجهاز لاسلكي صغير الحجم متطور جدًا جدًا ومعه بطاقه تحمل هويته، ويبدو أنه كان ضابطًا كبيرًا في الاستخبارات وقيل أنه كان الرجل الثاني لدستم. في أثناء قصف الطائرات على القلعة وتدمير جميع ما فيها من بشر وحجر وشجر أصدر الأمير قرارًا بقتل الجاسوس خوفًا من أن يحصل اقتحام ومباغتة من رجاله بالتالي ينجو من قبضتنا.

نرجع أيها القارئ إلى ما وقفنا عنده فبعد أن أنجلى الموقف وقلت الحرائق تسلق عناصر الجيش الدستمي أسوار القلعة ودخلت الدبابات من الأبواب الرئيسية والطائرات تحلق فوق القلعة كالنسور، كان الإخوة الذين بقوا بعد التدمير في غرفة المطبخ وعددهم حوال خمسة عشر عنصرًا (كان من بينهم سمرقند) والبقية الباقية جرحى تحت الجدران، ياللهول! ترى الجثث بعضها معلقة على جذوع الأشجار وبعضها تطفو فوق الأنهار فياله من منظر مريع يثير الشفقة في قلب العدو قبل الصديق ولكن كل هذا يهون في سبيل إعلاء كلمة الله ونيل الشهادة طالما الغاية سامية ولا بد من بذل النفس والنفيس في سبيل تحقيقها ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[1] فبشرى لهم.

تساءل الإخوه فيما بينهم ماذا نفعل؟ يجب أن نجد مكانًا نتحصن فيه قبل أن يهجم الأعداء ويحاصرونا، وفكروا ثم فكروا، ولم يجدوا حلًا، عندها تذكروا

(١) سورة الكهف الأيه رقم (١٣).

قول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾(١).

زحفت جحافل الأعداء وانتشرت داخل القلعة وأحكمت سيطرتها عليها تساندها فرقة من القناصة الأمريكية المختفية خلف الجدران المتهدمة، هنا اتفق الإخوة على عدم تسليم أنفسهم ومواصلة القتال حتى يلقوا الأحبة، أثناء تطهير المداخل والمخارج وجد الأعداء غرفة المطبخ التي يتحصن فيها الإخوة، تقدمت دبابة نحو باب المطبخ في هذا الوقت خرج أحد الإخوه وفى يده قنبلة قذفها في وجه الأعداء فقتل وقُتل، أما بقية الإخوة في الداخل لم يكن معهم أى سلاح سوى كلاشنكوف لا يعمل بكفاءة عالية أى شبه معطل يرمى تاره ويتوقف تارة أخرى.

كان بين باب غرفه المطبخ وباب السرداب الذى يؤدى إلى القبو عدة أمتار، وقف أحد الإخوة (من بلاد الحرمين) خلف باب المطبخ وهو يحمل سلاح الكلاشنكوف شبه المعطل ويريد أن يدخل به في القبو، استعد للإنطلاق والعدو مصوب فوهات سلاحه لقتل كل من يحاول الخروج، خرج الأخ كالسهم المنطلق وأخذ يعدو بكل ما أوتى من قوة والجميع يفتحون نيران أسلحتهم عليه، صدقنى أيها القارئ لن أستطيع أن أصف لك المنظر حسب رواية الأخ وكيف نجا من نيرانهم، تخيل أيها القارئ شخص يجري وما لا يقل عن ثلاثين أو أربعين فرد يطلقون الرصاص خلفه وعن يمينه ويساره وتحت أرجله ماذا تتوقع؟ المفترض أن يقتل في الحال ولكن المشيئه أرادت بالأخ أن يدخل عند إخوانه بذلك السلاح الذى أدخل الرعب في قلوب الأعداء ونفعنا فيما بعد، وبدخول الاخ المستبسل كانت نهاية اليوم الثانى وبداية اليوم الثالث.

---

(١) سوره الأحزاب الأيه رقم (١٠).

❏ اليوم الثالث الإثنين الموافق ١٢رمضان ١٤٢٢ هجريه:

كان الأخ الذي تمكن من الدخول للإخوة في القبو آخر من رأى الشباب داخل غرفة المطبخ قبل أن يقتلوا بالطريقة البشعه التي قتلوا بها، عرفنا طريقة مقتلهم إذ صوبت الدبابات فوهاتها نحو البوابات والنوافذ وشرعوا يقصفون ويقصفون فأحالوا أجسامهم الطاهرة إلى لحوم وأشلاء متناثرة.

أصبحت ساحة القلعة خالية من الأسود الثائرة والأبطال المغاوير. جمع الأعداء جثث الإخوة الذين قتلوا في اليوم الأول وهم مقيدون وكذلك أشلاء الجثث المتناثرة في غرفة المطبخ ووضوعوهم في شاحنات وذهبوا بهم إلى الخارج ورصوهم صفًا واحدًا وصوروهم ثم وضعوهم في حفرة كبيرة بحضور أفراد من منظمة الصليب الأحمر الدولية (الأسود) حصل هذا أيضا للإخوة الذين قتلوا عن طريق فرقة القناصة في اليوم الثاني وذهبوا بهم أيضا إلى المقابر الجماعية، نظفوا الساحة تمامًا من الجثث حتى يفرغوا للبقية الذين هم في القبو وكان عددهم مائتا شخص ما بين قتيل وجريح بعضهم مقطوع اليد والرجل ومنهم إخترق الرصاص بطنه (نسال الله ان يحفظه) وبعضهم مشوه الوجه ومجدوع الانف والفم (صلاح الدين الحساوي) وبعضهم.. وبعضهم..إلخ.

تخيل أيها القارئ هذا المنظر وهذه الصور البشعة والمشاهد المحزنة التي يندى لها الجبين وهم في ظلمات القبو ونحن موزعون في خمس غرف مفتوحة على صالة بها ممرات تؤدي إلى سلمين أحدهما لولبى والآخر ذو درج عادى داخل مبنى محصن غاية التحصين يتوسط القلعة، هذا المبنى بناه الروس إبان الإحتلال الروسى لأفغانستان وصمموه خصيصًا لمثل هذه الطوارئ، فالغرف الخمس التي ذكرتها لك غرفتان منها خصصناها للقتلى وغرفتان ومعهما الصالة للجرحى والغرفة الباقية أكرمك الله لقضاء الحاجة. في هذا اليوم أحسست ببعض النشاط، تحركت

رغم الآلام وأخذت أتجول وسط الجرحى والقتلى متلمسًا الجدار وسط الظلام الدامس حيث لا تسمع إلا التهليل والإبتهالات والألسن تلهج بذكر الله والتضرع، واصلت السير إلى أن بلغت مدخل الصالة أى بداية السلم اللولبى من الأسفل وعن يمينى ممر طويل يوصل إلى سلم الدرج، ومنها ينفذ عبر سرداب، هذا الممر الطويل به بابان غير باب السرداب وأمامى جدار، جلست في هذا المكان أى في ركن يصعد بك إلى السلم اللولبى أخذت السلاح الذى دخل به الأخ الذي من بلاد الحرمين لأحرس الجرحى والمكان كما قلت لك مظلم لاترى سوى نافذة صغيرة في أعلى السلم اللولبي، نفذ ضوء ضئيل وأخذ يتسلل من تلك النافذة هنا عرفت بأننا في النهار، كنا نستعمل حاسة السمع فقط وكنا نتوقع أى واحد من الأعداء في أى لحظة، كنت أطلب من الإخوة إلتزام الصمت لأتمكن من سماع وقع أقدامهم على السلم لأنهم إذا نزلوا دون أن نشعر بهم سيقضون علينا جميعًا، فهم بعد مقتل الجاسوس (ضابط الإستخبارات) انقطعت عنهم الأخبار والمعلومات، وأصبحوا لا يملكون أى معلومات بما يحدث في القبو، كانوا يظنون بأننا نملك قنابل وقذائف (G.P.R) لذلك تخوفوا من النزول إلينا ونحن لا نملك سوى السلاح الخفيف الذى لا يعمل إلا بصعوبة ولولا الله ﷻ ثم الأخ الذى دخل بالسلاح لكانت الفاجعة أكبر والخسارة أفدح.

نفعنا البابان اللذان كانا في الممر الطويل فيما بعد، فالعدو بعد أن تأكد من مقتل جميع من في الخارج استعد للإجهاز على البقية، نصبوا فوهه الدبابة على باب السرداب وأطلقوا عدة قذائف اهتزت الأرض عدة مرات ولكن هذه القذائف لم تصبنا لأن أبواب الممر حالت دون ذلك ووقفت سدًا منيعًا أمام القصف، استمروا في القصف حتى تمكنوا أخيرًا من تدمير البابين وظلوا على هذه الحال وبقيت الجدران هي الأخرى تعترض قذائفهم بعد تدمير البابين، سبحان الله! كأن

هذه الأبواب والجدران تقف بجانبنا لتحمينا، كانت أحيانًا تأتينا الشظايا والدخان، طلبت من الإخوة الجرحى الذين كانوا في الصالة التحول إلى الغرفة مع أن الغرف ملأى والجرحى يحتاجون إلى وضع خاص يناسب حالتهم ولكن ماذا أفعل؟ للضرورة أحكام، بعد محاولات استطعت أن أخلي المكان من بعض الجرحى القريبين من مرمى الهدف، فجأة جاء من النافذة العلويه للسلم اللولبي وابل من الرصاص، انسحبت الدبابة وأستخدموا سلاح آخر أشد فتكًا ألا وهو إلقاء القنابل عبر النوافذ والممرات مع استمرار القصف، كنت أطلب من الإخوة الصمت كلما يقل القصف حتى لا يباغتونا بالدخول، والقصف يشتد مرة ويهدأ مرة أخرى وكل مشغول بنفسه، من كانت إصابته قاتلة يموت في مكانه ولا تحس به، هذا واستمر القصف إلى وقت متأخر من الليل حتى دخلنا في اليوم الرابع.

❑ اليوم الرابع الثلاثاء الموافق ١٣رمضان ١٤٢٢ هجرية:

علمت بعد عدة ساعات وبواسطة الضوء الضئيل المنبعث من النافذة العلوية علمت بأننا دخلنا في يوم آخر هو اليوم الرابع، رجعت إلى حراسة الإخوة وحالتي لا تسمح لي بالوقوف، سمعت صوت شئ ما يتدحرج من أعلى مقبلًا نحوى ويستقر أمامي بيني وبينه نصف متر تقريبًا، اتضح لي بأنها قنبلة يدوية تجمدت في مكاني وأنا ملقى على بطني وخلفي الجرحى وثوان معدودة وتنفجر. عندئذ تيقنت بأني ميت لا محالة، وضعت كلتا يديّ على وجهي حتى لا تشوهه، صرتُ أهلل وأهلل، فجأة انفجر الصاعق فقط ولكن القنبلة لم تنفجر، لم أصدق ما حصل، قنبلة بيني وبينها نصف متر وأنجو؟! أمرت الإخوه بأن ينتقلوا من مكانهم سريعًا ويخلوا الصالة، قبل أن أكمل أوامرى فإذا بي أسمع نفس الصوت وقنبلة أخرى تتدحرج هذه المرة وتندفع بسرعة قبل أن ألتقط أنفاسي من الأولى فإذا هي تستقر بجوار فخذي حيث كنت جالسًا هذه المرة، وإذا أخذتها لا أجد مكانًا أرمي عليه

لأن المكان من حولي مكتظ بالجرحى وستصيبهم، وإذا حاولت أن أردها إلى الأعداء طريقة جلوسي لم تكن تسعفني، قررت أن أظل مكاني لأحجب الموجة والشظايا عن الإخوة بقدر ما أستطيع، ظللت أهلل وأهلل وأنا جالس في دهشة وذهول وفجأة سمعت صوت أضعف بكثير من الصوت الحقيقي للقنبلة بعدها أحسست بآلالام وجروح طفيفة في فخذي فقد انفجر الصاعق أيضًا هذه المرة، ما هذا؟! قبل أن أشكر الله وقبل أن يهدأ روعي فإذا بالقنبلة الثالثة أمامي مباشرة، قلت في نفسي هذه المرة هي نهايتي حتمًا، وضعت يديّ على رأسي أستقبل الموت راضيًا غير مدبر، ورحت أهلل وأهلل والقنبلة لم تنفجر، الله الله إنها عناية الله ثم بسبب الرطوبة التي على القنبلة. بعد هذه المحاولات بقليل فتحت نيران كثيفة علينا مرة أخرى، هذه المرة من الرشاشات لعمل تمشيط نهائي، توقعت اقتحامهم علينا، بالفعل سمعت وقع أقدام من أعلى السلم ويبدو بأن إثنين من جنود الأعداء المدججين بالسلاح كانا يدفعان أحدًا أمامهما كستار ومن يدفعانه يقاوم ويصرخ محاولًا الرجوع وهما لا يباليان به، ساعتئذ أحسست بقربهم ووجدت بأن الأمر يحتاج إلى سرعة وتصرف مع إتقان الرمي وهو أن تقف مختبئًا خلف الجدار وتخرج السلاح وترمي وترجع إلى مكانك دون أن تحدث صوتًا، وكان بإمكاني أن أفعل ذلك ولكن هى في النهاية مجازفة وظهري لا يسمح لي بذلك وليس لدينا إلا هذا السلاح الخرب. لم يُقدم أعداء الله على هذه الحيلة إلا ليتأكدوا بأننا نملك سلاح أم لا؟ لذا لجأوا إلى هذه الطريقة أي لستعمال الساتر البشرى، بأخذ أحد أسراهم ومحاولة النزول به للتأكد إن كان لنا سلاح نقاوم به أو للتأكد بأننا قتلنا عن آخرنا.

طلبت من أخ بجوارى وقد كان سليم البدن بأن يأخذ السلاح ويرمى بالطريقة التي ذكرتها سابقًا، قلت له: المسألة مسألة موت أو حياة للجميع ويجب أن توهمهم بأننا نملك السلاح والقوة حتى لا يتجرأوا بالنزول إلينا وفعلًا أخذ مكاني

واستعد واقتربت خطواتهم، خرج ورمى ثم رجع في خلال ثانية، قتل هذا الأخ أحدهم وولى الاثنان الآخران الأدبار مع إطلاق صرخة مدوية. استطاع هذا الأخ إدخال الرعب في قلوبهم والقيام بالمهمة على أكمل وجه ولو كان السلاح يعمل جيدًا لقتلهم ثلاثتهم. أنزلنا القتيل من فوق السلم لعلنا نجد معه سلاح نتقوى به لكن لم نجد معه أى سلاح ولعله خالفهم في شئ أو كان أسير عندهم أو أفشى سرهم لذلك استخدموه كبش فداء، بعد هذا الحادث لم نسمع أصوات الأعداء سوى أصوات المجنزرات تتحرك لا ندرى إلى أين؟ أهي ذاهبة أم أنها تبحث عن موقع مناسب للتمركز والرمي.

هدأت الأصوات تمامًا، وبدا على الإخوة التعب والإرهاق وذلك بسبب العطش فهم منذ ثلاثة أيام لم يذوقوا جرعة ماء أى منذ دخولهم القلعة مع العلم بأن بعضنا كان صائمًا، مات عدد منهم بالعطش ودخل ثلاثة أو أربعة على ما أذكر في هذيان وصاروا يتكلمون كلامًا غير مفهوم، أوقفت أحدهم وهو يهم بالذهاب إلى الخارج، فقلت له: أين أنت ذاهب؟ فقال لي: أنا ذاهب الى المطعم (الكافتريا) في الطابق العلوي، قلت له بجد وحزم: ارجع مكانك هنا لا يوجد مطاعم، وأحدهم كان قوله قريب من هذا، وفيما بعد ألتقينا في غوانتنامو ذكرت للإخوه قصة هذيانهم، أنكر بعضهم ماقاله ورد بعضهم لم أشعر بنفسي ولا أتذكر، ضحكنا عليهم كثيرًا (حفظهم الله).

ونحن في هذه الحالة العصيبة جاءني أخ طاجيكي وقال لي: الإخوة في حالة صعبة والعطش بلغ بهم أقصى حد أريدك أن تأذن لى بالذهاب إلى النهر لأحضر بعض الماء، كان الوقت منتصف الليل تقريبًا وكان الأعداء قد ذهبوا بعد أن نصبوا حارسًا أمام المدخل في مكان مرتفع لحين عودتهم مره أخرى في الصباح، ترددت في السماح له في بادئ الأمر لخوفي من أمرين.

الأمر الأول: أن العدو ربما يفكر بذكاء وهو أن يحجز أو يقتل من يخرج ويدخل متخفيًا في هيئة جاسوس أو فاتك مدعيًا بأنه أحد الإخوة.

الأمر الثاني: أن أرفض ذهابه ويزداد موت الإخوة من شدة العطش، ماذا أفعل؟ والأمران أحلاهما مرّ، أخيرًا سمحت له بالخروج مع أخذ الحيطة والحذر وأخبرته بكلمة سر تكون معروفة بيننا ليقولها من غير أن اسأله من أنت حينما يحضر، وإن لم يلتزم بهذا فسنطلق الرصاص فالأمر لا يحتمل دخول أحد من الأعداء على الجرحى، المهم اتفقنا على هذه الخطة وخرج ومعه إبريق وطلبت منه الرجوع بسرعة، عشت في فترة قلق رهيبه وتوتر وأنا في انتظار رجوعه، وبعد قليل سمعت وقع أقدام مقبلة نحوي، أخذت الوضعية المناسبة للرمي إن لم يكن القادم ذلك الطاجيكي وبفضل الله نادى من على بعد على حسب اتفاقنا المسبق، جاء ومعه الماء بعد أن شرب وارتوى، شرب الإخوة جميعًا من هذا الإبريق، هل تصدق أيها القارئ مالا يقل عن ثمانين فرد شربوا من هذا الإبريق حتى ارتووا جميعًا!، إنه لأمر يدعو إلى التفكير والتدبر بهذه الكرامة التي حصلت لنا. كان هذا الطاجيكي يتحلى بشجاعة نادرة فهو لم يكتف بجلب الماء فقط بل تسلل بين الأشجار وأجرى استطلاعا سريعًا لمعرفة مواقع الحراسات ورأى أن مدخلنا هذا ينتصب على مواجهته من الجهة المقابلة لنا حارس، بعد أن سمع الإخوة بخروج الطاجيكي وعدم انتباه الحرس لعل الله أعمى بصرهم أرادوا الخروج طلبًا للماء ولو أدى ذلك إلى مقتلهم وخير لهم أن يقتلوا ويستشهدوا ولا يموتوا عطشًا على حسب قولهم، رفضت هذه الفكرة بشدة ورفعت السلاح عليهم وقلت لهم: كل من يحاول الخروج سوف أطلق عليه النار والسبب أنهم لا يعلمون ماينتظرهم في الخارج، أما سماحي للطاجيكي بالذهاب هو أنني كنت متقينًا من أنه كان شجاعًا حذرًا فطنًا يتصف بالقوة والنشاط، وهمه أن يسقى الإخوة وحريص على الرجوع ويعرف طريقة

الدخول إلينا أي كلمة السر المعروفة بيننا . . والسبب الثاني هو خير لنا أن يقتل أو يؤسر أحد منا لا قدر الله بدلًا من مجموعة أفراد. منعتهم ليس لعدم الثقه بهم حاشا وكلا ، فكلهم أسود لا تكاد تفاضل أحدهم على الآخر، وسبب آخر كنت أخشاه وهو أن يقبض على أحدهم ويجبر على كشف ما بنا من نقاط الضعف ويتم القضاء علينا ، منعتهم ليس لعدم الثقه كما أخبرتكم ولكن الذى رأيناه شئ لايصدق، قتلى عن يمينك وعن يسارك بعضهم فقد أنفه وبعضهم مبتور الأطراف وبعضهم أحشاؤه في الخارج وبعضهم. . وبعضهم. . إلخ، وكان المكان مليئًا بالدماء والعدو بين الفينة والأخرى يطلق قذائف والإخوه بعضهم دخل في هذيان كما ذكرت آنفا والإنسان بطبيعته ضعيف ولا يقوى أمام مثل هذه النكبات إلا من كان قوى الإيمان وحين رفعت السلاح كان خوفًا عليهم وعلى بقية الجرحى وحتى لا يعرف العدو نقاط ضعفنا، وخاصة أنه واهم بأننا نملك أسلحة وأصابه الرعب.

بعد أن رجع من كانوا يريدون الخروج إلى مكانهم جاءنى أخوين أحدهما من بلاد الحرمين (محمد سرور العتيبي قتل في حادث سير بعد أن خرج من غوانتنامو في الرياض وكان من المفترض أن يكتب عن هذه المذبحة لما لديه من معلومات كثيرة نسأل الله أن يتقبله) و الآخر ليبي وألحا على بأن أسمح لهما بالخروج لجلب الماء لأن الإخوه عطشى وقالا لى بأن هذه فرصة لنا لنجلب الماء بإناء أكبر، وافقت على خروجهما ، خرجا وجاءا بإناء أكبر مملوء، ثم جاءنى آخران ترددت في بداية الأمر في إخراجهما ثم وافقت لهما بالخروج وذهبا وشربا وعادا بماء كثير وارتوى الجميع، أصبح الطريق آمنا ربما الحارس نام من شدة التعب أو أعمى الله بصره وهو اللطيف بعباده ويكون معك في الشده والرخاء عندما تكون في معيته حيث يقول الشاعر:

واذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

عاود الطاجيكي الكرة مرة أخرى وجاءني هذه المره ومعة ثلاثة من الإخوة وقال لي: إئذن لنا بالخروج نأتي بالماء ونستكشف المكان قبل بزوغ الفجر سمحت لهم، خرجوا ولكنهم تأخروا، سمعت صوت رصاص ووقع أقدام متجه نحو الممر فتهيأت. فإذا هو الطاجيكي يمسك يده، قلت له مابك؟ وأين البقية؟ قال لي: هوجمنا وقتل اثنان منا وأنا أصبت في ذراعي كما ترى ورابعنا قادم خلفي، خشيت أن يأتوا على إثرهم يطلبونهم ويجدوا البقية وتكون الكارثة، وقد كانت هذه ليلة عصيبة عشناها رغم توفر الماء.

❑ اليوم الخامس الاربعاء الموافق ١٤ رمضان ١٤٢٢هـ:

مازلنا تحت القبو صامدين صابرين محتسبين لله وما زال العدو يحاول جاهدًا إيجاد ثغرة للقضاء علينا وجرب جميع ما عنده من حيل وأسلحة خبيثة وفتاكة وما أكثرها ولكنهم لم يفلحوا طالما عين الله ترعانا.

كانت جثث القتلى تتناثر في كل مكان والأرض تمتلئ بالدماء وبقايا الجدران المحطمة تتراكم فوق الجثث وأنين الجرحى ينطلق من هنا وهناك وقذائف الهاون تهز الأرض تحتنا هزًا والظلام الدامس يلف اركان القبو، لقد كان مشهدًا رهيبًا سيظل محفورًا في الذاكرة، ورغم كل هذا كان الإخوة منهم من يشعر بالسكينة والطمأنينة ومنهم من يهيئ نفسه للحاق بمن سبقوه من إخوانه ومنهم من يدعو الله أن يعجل له بالشفاء حتى يثخن في الاعداء، وقد حصلت للإخوة كرامات كثيرة سأذكرها لك كل في مكانه إن شاء الله. وبينما الرهبة تخيم على المكان إذ بنا نسمع حركة وجلبة في الخارج، أيقنا بأنهم يعدون أنفسهم للاقتحام علينا لكنهم لم يفعلوا إنما جاءوا بسلاح آخر عجيب ما كنا نضعه في الحسبان، سمعنا دوى انفجار رهيب أعقبه لهب كثيف وصل إلينا عبر الممرات وخيّم فوقنا كالسحاب وأخذ يشب في

جسم كل من كان واقفًا من الإخوة، طلبنا منهم الانبطاح على الأرض واللهب يزحف في كل أنحاء القبو، بعض الإخوة اشتعلت أجسامهم وقد جردناهم من ملابسهم وبعضهم احترق شعر رأسه، استمر الحال لعدة ثواني ثم ما لبث أن اختفى اللهب، وقد استمروا في استخدام هذا السلاح مرة بعد مرة والمكان يتحول معه الى فرن كبير من شدة الحرارة ولكن بحمد الله وتوفيقه عرفنا كيف نتفاداه، ظنوا بأن هذا السلاح سيجبرنا على الخروج وتسليم أنفسنا، كما كانوا يظنون أو يخشون بأننا سنخرج إليهم في أي لحظة مهاجمين ولكنهم لم يكونوا يعلمون ما بنا من تعب وإرهاق واننا عزّل. لم تفلح بفضل الله هذه المحاولة ولم تأتى بأى نتيجة إيجابية لأننا لم نشعرهم بضعفنا وظلتنا متمسكين بهدوئنا ورباطة جأشنا، ولما أحسوا بذلك لجأوا إلى سلاح آخر يعتبر من أسرع الأسلحة في إزهاق الارواح من دون أي جراح ليشفوا غليلهم دون أن يراعوا آدميتنا خارجين عن قواعد وأدبيات القتال الشريف، استخدموا هذا السلاح الذي نعتبره سلاح الجبناء تخيل معي ايها القارئ نوع هذا السلاح سمعنا خرير مياه تتدفق من نوافذ غرف القتلى، هرعنا نحوها ونحن نجتاز وسط القتلى لسد المنافذ والفراغات والشقوق بين الأبواب وذلك باستخدام ملابسنا، لم نتمكن من سد هذه الثغرات بسبب قوة اندفاع الماء حيث امتلأت إحدى الغرف وأخذ الماء ينساب الى الصالة، مع ظهور أول دفعة نبهت الإخوة بالابتعاد عن الماء بقدر الإمكان وقلت لهم: لعل هذا الماء سيكهرب، وبالفعل أخذ الماء يضطرب ويحدث صوتًا كصوت الزيت المغلي عندما يصب عليه الماء ويهتز هزات سريعة مضطربة تتوقف وتعاود الكرة مرة أخرى، تأكدت حينها بأنه ماء مكهرب، وفي غوانتنامو لاحقًا سألت المحقق الامريكي لماذا توقفتم عن استخدام الماء المكهرب لقتلنا؟ أجاب جاءتنا أوامر بإيقاف العملية، هذا ما جعلني أقطع الشك بأنه كان ماءً مكهربًا. هكذا لم يتورعوا من استخدام كل أنواع الأسلحة القذرة لإجبارنا على الإستسلام ولكن خاب مساعيهم في كل مرة، قاتلهم الله.

❑ **اليوم السادس الموافق ١٥ رمضان ١٤٢٢هـ:**

في هذا اليوم شعرت ببعض التحسن وبدأت أتحرك على قدمي بين الإخوة القتلى والجرحى أتفقد أحوالهم، في هذه اللحظة حطم العدو نافذة صغيرة في أكبر الغرف وألقى قنابل وسط القتلى والجرحى إمعانًا في التنكيل بنا، وقد قتل من قتل كما أن هذه القنابل أثارت هلعًا وسط الإخوة، وقد هرع بعضنا إلى الغرف الأخرى المكدسة بالقتلى والجرحى، وبعد أن هدأ روعنا وجدت صديقًا لي يكنى بعاشق الحور (اسمه أحمد الوظاف يسكن الطائف بحي الشطبة) وهو من بلاد الحرمين من أصل يمني ملقي على باب الغرفة الكبيرة وكان الإخوة الداخلون والخارجون يطأونه بأقدامهم دون أن يروه بسبب الظلام، سألته: لماذا أنت هنا؟ قم من طريق الإخوة حتى لا تصاب، طلبت منه أن يدخل إلى الغرفة وأنا لا أعلم بأنه مكسور الحوض، حيث جاء أحد الإخوة وأعانه على الدخول، حينها سكب العدو البنزين من النوافذ دون رحمة لأنهم رأوا أن هؤلاء الشباب أغضبوا سيدتهم أمريكا وهاهم يريدون أن ينتقموا لها، ولم نكن نعرف بأن هذا السائل في بادئ الأمر هو مادة البنزين إلا بعد أن انتشرت رائحته، وعلى الفور تداركنا الموقف حيث أحضرنا السلاح الوحيد «الكلاشنكوف» وأطلقنا الرصاص على المكان الذي يسيل منه البنزين وكانت المفاجأة أن اشتعل البنزين وخرجت ألسنة اللهب إلى الخارج بدلًا من الدخول إلينا وبفضل الله لم يحترق أحدنا. كان قصدهم من هذه الفعلة إجبارنا على الاستسلام تحت وطأة الاختناق فباءت هذه المحاولة بالفشل كسابقاتها والحمد لله رب العالمين.

ونحن على هذه الحال سمعنا أحدًا من الأعلى ينادينا مخاطبًا بلغة لم نفهمها فطلبنا من أحد الإخوة الأفغان أن يسمع ما يقول ويترجم لنا، كانت فحوى كلامه تتضمن التهديد بتدمير الغرف فوق رؤوسنا إذا لم نسلم المسؤول الذى معنا أى ذلك

الجاسوس الذي قتلناه، وقد اتفقنا على ألا نرد عليه والرجل ينادى ويصرخ، ويبدو حين قطع الإتصال بينهم وبين رجل الإستخبارات الجاسوس أنهم قد أحسوا بأنه في خطر وكانوا يشكون في أمره أقتل أم أسر؟ لذلك جاءوا مرة أخرى ونادوا وفى هذه المرة بلهجة وأسلوب آخر وطلبوا المفاوضة، كنا نعلم بأنهم أهل خيانة وغدر، قالوا لنا: الأمريكان في الخارج معنا ونريد أن نتفاوض معكم، وبعد إجراء مشاروات فيما بيننا قررنا الخروج إليهم، وأما إذا سألوا عن رفيقهم ننكر وجود أى رجل منهم بيننا وفى حالة معرفتهم بأن الضابط معنا ألا نخبرهم بما حصل له ونعتبره رهينة حتى الفراغ من المفاوضات والرجوع إلى القبو سالمين. كان من ضمن الإخوة الذين خرجوا للتفاوض أخ أفغاني (محمد الأفغاني) صغير في السن خاض معارك كثيرة من قبل ويتكلم اللغة العربية بجانب الفارسية والأردو، والبشتو، كان وسيطًا أو بمثابة مترجم ويخدم العرب من قبل قوات طالبان، كان مطلوبًا لدى الجنرال دستم ورجال مسعود شاه، رغم صغر سنه إلا أنه كان يعتبر من العقول الخبيرة بشؤون الحرب، وكنا قد رفضنا خروجه لكنه أصر وخرج ومعه أحد الإخوة العراقيين (علي العراقي) وأخ آخر من أهل اليمن (وضاح الأبيني قتل مؤخرًا في غوانتنامو)، اجتمعوا معهم بحضور الأمريكان، رجع العراقي واليمني أما الأفغاني فلم يرجع قيل أنه لم يذهب من أساسه وقيل أن إصابته كانت بليغة فذهبوا به الى المشفى. كانت نتيجة المفاوضات أن يرجع هؤلاء إلى إخوانهم ويقنعوهم بالخروج وتسليم أنفسهم، ولما علموا بعدم تجاوبنا معهم جاءت الطائرات الأمريكية وشرعت تقصف وتهدم المبنى من أعلى حتى يتسنى لصواريخهم أن تصل إلينا في القبو، استطاعوا أن يسووا المبنى بالأرض ولكن رغم ذلك الصواريخ لم تستطع إختراق سقف القبو حيث كان المبنى مشيدًا بصورة محكمة من قبل الروس وكأنه مصممٌ لمثل هذه الأحداث.

نعود بك أيها القارئ إلى أخينا عاشق الحور، سمعت صوته يأتي إلى من بعيد ينادي: يا أبا دجانة يا أبا دجانة وكان يحلو له أن يكنيني بهذه الكنية، أسرعت إليه فإذا به يتنفس بصعوبة لأنه اختنق بالبنزين الذي انسكب على رأسه ووجهه، أخذت قميص أحد الإخوة وبللته بقليل من الماء ووضعته على أنفه لمساعدته على التنفس واستعادة قواه، فجأه سمعت هتافًا من الإخوة في ناحية موقع الحراسة، هنا كان العدو قد لجأ إلى آخر سلاح تبقى في جعبته، حوّل مجرى النهر الى داخل القبو، جاءنا الماء فظن الإخوة بأنهم سوف يلجؤون إلى وضع الكهرباء فيه كالسابق، تكدس جميع الإخوة في غرفة واحدة وأخذوا يعملون جاهدين على سد الثغرات التي يمكن أن يتسرب عبرها الماء إلى الداخل، كان اثنان أو ثلاثة على ما أذكر تعلقوا في الأبواب وحطام الجدران تجنبا للموت بواسطة الكهرباء، بعد هنيهة أحسسنا بالماء يتسرب داخل الغرفة وينساب رويدًا رويدًا والإخوة يتراجعون إلى الخلف كل يصعد فوق أخيه والماء يزحف نحوهم، فقام الإخوة يودعون بعضهم ويقولون: دقائق يا أحباب ونجتمع في جنة الخلد، منهم من قام وشرب الماء وارتوى ومنهم من توضئ وقال: خير لي أن أصعق وأنا أصلي ومنهم من استلقى على ظهره وقال: ما أشد لسعة الكهرباء! أريدها أن تقتلني بسرعة.. كانت لحظات عصيبة بحق.. لم يتوقف الماء وأخذ يزداد ويزداد الى أن بلغ الساق.. الركبة.. الخصر، هنا سمعت صوت عاشق الحور مره أخرى يناديني يا أبا دجانة.. يا أبا دجانة.. وأنا أقول للإخوة: قولوا لعاشق الحور أن يذكر الله، كان المسكين منزويًا في أحد أركان الغرفة ويحاول النهوض وقوته لا تساعده فوصل الماء الى ترقوته وهوه جالس، ما كنت أعرف حقيقة بأن حوضه مكسور وأنه عاجز عن الحركة ناداني المسكين عدة مرات وأنا أرد عليه من الغرفة المجاورة: اذكر الله.. اذكر الله.. وهو يحاول أن يقف مستندًا على الجدار يقف مرة ويقع مرة أخرى،

يحاول أن يسبح وحوضه المكسور لا يساعده والماء يرتفع والمكان مظلم ولا يجد من يعينه وظل على هذه الحال إلى أن فاضت روحه الطاهرة وبالتالي انقطع صوته، علمت لاحقًا بأنه كان مكسور الحوض هنا تملكني إحساس بالحزن العميق ولم استطع كبح جماح دموعي وكأني أسمع صوته يرن في أذاني وهو ينادي يا أبا دجانة يا أبا دجانة، كان ذلك موقفًا مؤثرًا له وقع عظيم في نفسي، ندمت على أنني لم أذهب إليه وهو في تلك الحالة، تالله لو كنت أعلم ذلك لبذلت في سبيل إنقاذه روحي، كيف لا وهو كان من أعز الأصدقاء وكان رجل ذو خلق نبيل يخدم الإخوة ويطبخ لهم ويبذل نفسه في سبيل راحتهم لله دره من رجل وسيظل هذا المشهد باقيا في ذكرياتي ما دمت حيًا.

استمر الماء في التدفق من خلال النوافذ والأبواب والشقوق الموجودة في أعلى الجدران كالشلال الهادر، صرنا نساند العاجزين على الوقوف كل واحد على أخيه وأخوه إما مكسور اليد أو مصاب في الرأس أو مصاب في البطن أو الكتف.. ألخ.

حقيقة تأزم الموقف واستفحل، اقترح مجموعة من الإخوه الاستسلام وشاركهم أحد الامراء (قعقاع التبوكي) وكان مصابًا إصابات بليغة في أماكن مختلفة، رفض أغلب الاخوه هذا الاقتراح عندئذ طلب الإمير المصاب أحد الاخوه ليحمله الى مدخل القبو، حمله أخ يمني (إسماعيل الحضرمي يسكن المكلا صديق عكرمة الذي فُقد وأبو هاجر الحضرمي) على ظهره وخاض به الماء الى أن أوصله الى مدخل القبو ومن ثم حاول أن يفلت من قبضة الاعداء أي اليمني (اسماعيل) بعد أن اوصل الإمير وتحيّن الفرصة للإفلات وفعلًا انطلق يعدو بكل ما أوتى من قوه ولكن المسكين أردوه قتيلا في الحال.

الماء ما زال يرتفع ويرتفع الى أن بلغ الترقوة، لا أستطيع أن أوصف لك هول ما حدث لنا في هذا اليوم ومهما بحثث عن مفردات اللغه فلن أستطيع أن أوصف لك

ما حدث، كانت جثث القتلى تطفو فوق الماء حولنا والماء بارد جدًا، أختلطت دماء القتلى وفضلات الغائط أكرمك الله بالماء فصار ملوثا - أما الإخوة الواقفون وعلى ظهورهم الجرحى لم يستطيع أحد منهم الصمود وماتو غرقًا منهم من أصابه الاعياء والتعب وأخذ يشرق بالماء يغوص تارة ويظهر تاره أخرى ويظل على هذه الحالة إلى أن خرجت روحه، كان الموت يتخطفهم من حولنا ونحن لا نملك أي حيلة أو وسيلة لانقاذ أرواحهم، وكان الواحد منا يطئ بقدمه جثثًا مستقره في القاع دون أن نشعر ويشرب من هذه الماء وهو يقول: (بسم الله الذي لا يضر مع أسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم) كان كل ثلاثة أو أربعة من الاخوه يحتضنون بعضهم طلبا للدفئ والحرارة، ضاقت بنا الأمور أقصاها، بعدها عقدنا العزّم على الخروج ومواجهتهم حتى يهلك آخرنا، تقدمت نحو بوابة السرداب ومعي السلاح الوحيد والإخوه خلفي والماء أخذ في الارتفاع، عندما وصلت إلى مدخل القبو وجدت منظرًا عجيبًا وجدت الأمير (قعقاع التبوكي) الذي سبقنا منكفئ على وجهه في الدرج الأول من السلم وجدار المدخل عن يمينه وعن شماله قد أحمر كالجمر من كثرة القذائف التي تمر بجانبيهما، كان المكان دافئا حتى أنني اتجهت نحو أحد الجدران وأخذت أحتضنه لاخفف وطأة البروده وأستعيد قوتي لمجابهة الاعداء، رأى باقي الإخوة ما فعلته وشرع كل واحد يقلدني في نشوى وفرح، عندما أرتفع أصواتهم أحس بهم العدو وصار يفتح نيران الرشاشات في هذا الممر الضيق وقتل من قتل وهرع البقية إلى الغرفة الملأى بالماء مرة أخرى أتذكر حينما كنت في المقدمة جاءت قذيفه (G.P.R) وأصطدمت بأعلى السقف فوق رأسي مباشرة وأحدثت دويًا مروعًا أحسست قلبي تحرك من مكانه وبلغ الحنجرة، شعرت بصمم أنسحبت الى الداخل وأنا أتحامل على نفسي

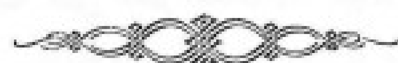
وليس معهم أي سلاح حتى يبعثوا في المكان نوعًا من السكينة والطمانينة، طفقوا، يمدون أيديهم لسحبنا من الأسفل واحدًا تلو الآخر.

خرجنا إلى ضوء النهار ويا للعجب! لم نجد الأشجار الكثيفة في ساحة القلعة ولا الاسوار العالية الضخمة، كلها قد محيت عن الوجود والمبنى نفسه قد سوّى بالارض وتحول المكان قاعا صفصفا.

أما حالنا ماذا تتوقع أن يكون؟ ماذا تتوقع منظر شخص ظل سبع أيام لم يغير ملابسه ولم يهذب شعره ولحيتة ولا حتى ينظف جسده وهو بين الطين والوحل والدخان ورائحة البارود و.. و.. ألخ، كان مناظرنا ونحن خارجون لا توصف، ملابس متسخة وبالية وهيئتنا كهيئة الخارج من القبر وقد علاه الوحل والطين علا جباهنا ورؤوسنا وشعر الرأس يبدو كشوك القنفذ، تسارعت القنوات الفضائية لأخذ لقطات والعسكر يدفع رجال الصحافة والاعلام ويمنعهم من الأقتراب نحونا.

أخيرًا أسدل الستار وانتهت هذه الملحمة التي سطرها الشباب المجاهد الرافض لهذا الهوان، فضل لقاء ربه الكريم على حياة ملؤها الذل والخنوع وما خاب ولا خسر في أختياره بل هو خروج من هذا السجن الكبير إلى جنات الرضوان مع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وصحبة الكرام.

وهذه أحداث عايشناها ورأيناها، حفرت أخاديدًا في عقولنا وقلوبنا، أبطالها إخوه لنا، أفضل منا سبقونا الى ما كنا قد وضعنا أعيننا وتعاهدنا عليه.



الفصل الثالث

* بين أسوار سجن شفرغاند.
* قاعدة قندهار العسكرية.

الفصل الثالث

❑ بين أسوار سجن شفرغاند[١]:

جاءوا بشاحنة بها حاوية (container) واستبدلوا ملابسنا بملابس أخرى شتوية وذهبوا بنا إلى سجن شفرغاند وقبل أن ندخل إلى السجن أنزلونا من الشاحنة وسلطوا على وجوهنا كشافات قوية، جاء الجنرال دستم بصحبة حراس أمريكان، وقف أمامنا وأشار إلى ناحيتي، جاء أحد الحراس ضخم الجثة مفتول العضلات ورفعني بقبضة يده عاليًا وكان لسان حاله يقول للأعلام العالمي إن الذين يقاتلوننا ليسوا أفغان بل عرب وأفارقة، تسابقت الكميرات لالتقاط هذا المنظر، بعده خاطبنا الجنرال دستم قائلا: سوف أسلمكم إلى الأمم المتحدة، بعد الانتهاء من كلامه حشرونا في الشاحنة واتجهوا بنا الى سجن شفرغاند والسياط تلهب ظهورنا، أدخلونا في عنبر مكتظ بالباكستانين والأفغان الذين تم أسرهم أثناء خروجهم عبر قندوز الى مزار شريف ثم الى هيرات حيث غدر بهم دستم كما غدر بنا من قبل حيث جاءت الطائرات الامريكية وألقت عليهم المتفجرات وهم داخل الشاحنات وقتلوا الالاف منهم (مجزرة الحاويات) أما البقية فجاءوا بهم الى هذا السجن، جمعونا كلنا في ثلاثة عنابر أولا، ثم أخذو يحشرون الإخوه الباكستانين كل ثلاثين شخص في غرفة مساحتها متران في مترين، أما الإخوة العرب فكان كل خمسة عشر شخص في غرفة في نفس المساحة كنا أحسن حالًا من غيرنا.

قبل هذا كان دستم أرسل من يسأل عن الأمير عبد العزيز النعماني كان هذا الأمير استطاع أن يخلّص قوات طالبان من حصار محكم قد ضرب عليهم من قبل، كانوا ساخطين عليه وصدورهم تغلي بالحقد والكراهية، أخذوه ومعه محمد

---

(١) شفرغاند مدينة فى شمال افغانستان وهى مسقط راس الجنرال دستم وبها جيشه.

الأفغاني ذلك الفتى الصغير الذي حدثتكم عنه وأحد الاخوة اليمنين (وضاح الأبيني قتل مؤخرًا في غوانتنامو)، وضعوا ثلاثتهم في شاحنة وهم مقيدون في الأرجل والأيدي وأسرعوا بها أي الشاحنه صعودًا ونزولًا في الأسفلت لعدة مرات لترتطم أجسامهم بحافة الشاحنة في كل الاتجاهات وتزهق أرواحهم، مات الأمير ومعه محمد الافغاني تحت هذا العذاب، أما (وضاح الأبيني) فقد صمد برغم ما به من جراح ونجا في آخر الدقائق، جاء يروي لنا هذا المشهد والدموع تغالبه، الله الله من رجال ضربوا أروع الأمثال في الثبات والتضحية، كل واحد فيهم كان يساوي جيشًا لوحده.

كان بعض الإخوة ذوي الإصابات الخطيرة قد نقلوا الى المستشفى كما جاءت فرق طبية لمعالجة الجرحى، كنا لا نشعر بألام الجراح كل تلك الفتره التي كنا في القبو أما الآن وبوصول هذه الفرق الطبية شعرنا بألام شديدة كاننا أصبنا بها في التو، إنها لأمر يدعو الى التفكير وهذه كرامة أخرى من الكرامات الكثيرة التي رأيناها.

مكثنا في هذا السجن ما يقارب الشهر نعانى من سوء العناية الطبية والمعاملة القاسية وقلة الطعام ورداءة الخدمات علاوة على كل هذا وطأة الثلج ولسعات البرد القارص، فقد مات كثيرون منا بالبرد منهم الأمير القعقاع التبوكي (يمني) وضعوه في العراء خارج الغرفة ومعه عمر الحديدي (اسمه حسن الحديدي أصلة يمني يسكن مكة)، ماتا من شدة البرد.

وأذكر من ضمن ما أذكر أن جاءتنى صحفية فرنسية من أصل مصري ومعها مصور لإجراء لقاء صحفى أشرت إليهما بأن يخرجا وأننى غير مستعد للحديث وتحت إلحاحهما الشديد وافقت بشرط ألا يكون المصور موجودًا بكمرتة، من خلال الحوار الذى دار بيننا علمت بأننا سوف نرحل إلى قاعدة أمريكية أنشئت حديثا في مطار قندهار.

قسموا الأسرى إلى قسمين، من كانت إصابته خطيرة أخذوه إلى مستشفى خدماتها لا بأس بها وأما البقية قد مكثوا في عيادة كبيرة داخل السجن، وكنت من ضمن مجموعة من بقوا في عيادة السجن نظرًا لإستقرار حالتى الصحية، أصدر مدير السجن قرارًا يقضى بنقلى إلى المستشفى، قلت: بأن حالتي الصحية جيدة ولا يتطلب نقلى إلى المستشفى وأن هناك من هو أولى مني بالذهاب جاءنى المدير يهدر كالبعير وصرخ في وجهي ثم طلب من أعوانه أن يأخذونى إلى هناك. كان ذهابي إلى المستشفى قد عاد إليّ بخير كثير حيث سخرنى الله تعالى لأخ كويتى كان يعانى من إصابات بليغة بين فخذيه، كان يتعب كثيرًا في قضاء حاجته، كان لا يجد العناية الطبية اللازمة والمعاونه من قبل الممرضين، عندها علمت بأن حضوري كان خيرًا لى وله، ألزمت نفسي لخدمته وظللت أمارضه طيلة فترة مكوثي بالمستشفى، كان الطعام في هذا المستشفى قليلا ولا يكاد يسد رمقنا، وجدنا حيلة في الحصول على عشرين دولار من تلك الصحفية الفرنسية حيث اشترطنا عليها ألا نعطيها أى معلومات (سبق صحفي) إلا بمقابل مبلغ من المال، كانت حاجتنا ماسة للمال لاسيما نحن نعانى ما نعانى من المسغبة والجوع، أعطينا هذا المبلغ لأحد العاملين بالمستشفى ليشترى لنا طعامًا، أحضر ما كنا نطلبه من الطعام، وفى مره قلت للإخوة الذين هم معى في الغرفة، ندع الطعام إلى أن يأتى المساء لأن ليل الشتاء طويل والبرد كما تعلمون قارس والجسم لايحتمل الجوع، لذا علينا تأخير العشاء وإبقاء جزء من الطعام لليوم التالى كنوع من الإدخار هنا رد علىّ أحد الإخوه قائلا: «لا إدخار بعد خوجة غار»، وقصة هذه العبارة المأثوره هى عندما كنا في خوجه غار ادخرنا موادًا غذائية كثيرة استعدادا لاستقبال شهر رمضان المعظّم، وكلما يهم أحد الإخوه أن يأخذ بعضًا منها نقول له: هذه المواد لشهر رمضان لا تأخذوا منها، ظللنا نكرر هذه العبارة إلى أن جاءت الطائرات الأمريكية وأجبرتنا على الانسحاب وتركنا كل تلك المؤن الغذائية خلفنا واستفاد منها غيرنا، هذا ما دفع

الأخ بأن يطلق هذه العبارة التي صارت مشهوره بيننا، نظرت من خلال النافذة في وقت العصر فرقة من الجنود الأمريكان ينتشرون في ساحة المستشفى وهم بكامل أسلحتهم ثم بعد ذلك دخلوا علينا في الغرف، كنت أول من أجرىّ علىّ التفتيش الدقيق بواسطة أجهزة حديثة قيدوا يديّ بعصب وغطوا وجهي بكيس من قماش سميك بحيث لا يمكنني رؤية أى طيف آدمي، كنت أتنفس بصعوبة ولم أحس بنفسى إلا ورجلاي ارتفعتا من الأرض فجأه بواسطة رجلين قويين من قوات الكماندوز واتجها بى نحو الشاحنة والقيانى داخلها كما تلقى الأمتعة، ظننت حينها بأننى الوحيد فوق ظهر الشاحنة بحسبان أننى بصحة جيدة وأحسن حالًا من غيري، بعد هنيهة سمعت صرخات العسكر وهم يصرخون لأحد الإخوه اصعد اصعد لا تتحرك أدخلوه وأجلسوه بجواري ثم أخذ العدد يزداد تدريجيًا كلهم إصاباتهم بليغة.

تحركت بنا الشاحنة وهي تشق المدينة باتجاه مطار مدينة مزار شريف، أوقفونا في صف واحد وصاروا يقيدون كل واحد ويقرنوه مع أخيه في العضد ويشدوهما شدًا محكمًا ومؤلما بحبل طويل بحيث يسيروا في خطى متساوية، تصور مبلغ الألم الذى كنا نعانيه، أذا أسرع من في الأمام كان يؤلم من يليه وأذا تأخر من في الخلف يؤلم الذى أمامه بمعنى أن أي اختلال في حركة السير يؤثر إمّا في الأخ الذى في الأمام أو الخلف، سرنا بهذه الطريقة إلى أن صعدنا إلى سلم الطائره. كانت الطائرة عبارة عن طائرة شحن خالية من المقاعد في أرضيتها حلقات مثبتة، بمجرد دخول الواحد منا يفك من هذا الحبل الطويل ويقيد بقيد آخر ويربط على هذه الحلقات كما تربط البهيمة وذلك بعد أن يضعوا في أذنك غطاء أو سداده بجانب غطاء العين بحيث لا تسمع ولا ترى وبعد هذا يقف حارس فوق رأسك يضربك أذا عملت أي حركة، ظللنا في هذا الحال والطائرة تطير بنا عدة ساعات.

❑ قاعدة قندهار[1] العسكرية:

هبطنا في إحدى المطارات، نزلنا بنفس الطريقة التي صعدنا بها، نسبة لبعد المسافة بين موقع الطائرة وصالة الوصول أصابتنا آلام رهيبة من جراء هذا القيد، أيدي كثيرة من الإخوه فقدت الإحساس لعدت شهور، كانت أشد إيلامًا من تلك القيود التي وضعت علينا ونحن في ساحة القلعة، أول وصولنا إلى الصالة أخذوا يفكون قيد كل واحد ويجردونه من ملابسه تمامًا ومن بعده يمرّ عبر عدة غرف كل غرفة معدة لإجراء كشف معين. بول.. دم.. ضغط.. أي عاهة حتى تصل إجرءات الكشف إلى آخر مرحلة ثم يأتي الأخ التالي وتستمر العملية هكذا واحدًا تلو الآخر، وفي نهاية الكشف الطبي يلقي بك في حظيرة محاطة بشبك متين كانما أنت حيوان مفترس جيى به من الغابة، يضعون على صدرك ديباجة عليها رقمك، تخيل أيها القارىء حالنا ونحن مجردون من ملابسنا تمامًا والبرد قارس يفعل بنا الأفاعيل في منطقة مكشوفه وبجانبك أخوك وهو مثلك عارى تمامًا، كان همنا الأول أن نداري نظرنا لأنك إذا التفت يمينًا أو يسارًا ربما يقع نظرك على أخيك العريان. كان جل تفكيرنا هو البحث عن أي طريقة لنواري سوءاتنا، كانت حالتنا النفسية سيئة للغاية، إن شاء الله سوف لن نسي هذه المواقف لأمريكا، هذه الدولة التي تنصب من نفسها حامية للحريات، وداعية للسلام العالمي، وداعمة لحقوق الانسان لكن للاسف كلها خداع في خداع، وقد كشفت هذه العملية الدنيئه القناع، وسقطت آخر ورقة توت كانت تستر بها سوءتها، وستظل وصمه عار في جبينها أمام الرأى العالمي حتي يقضي الله امرًا كان مفعولًا.

بلغ بنا الجوع حدًا بعيدًا طيلة فترة الرحلة، لم نر طعامًا ولم نزق طعم النوم، آخيرًا جاءوا لنا بطعام، فرحنا، ويا للفرحة ما تمت! إذ سمعنا صوت (على

(١) قندهار: مدينة تقع جنوب افغانستان وكانت هى معقل لقوات طالبان اضافة الى مدينة هلمند.

العراقي) ينادي ويقول: يا أخوه هذه المجندة الامريكيه تقول لكم: هذا لحم خنزير، من أراد منكم أن يأكل فليأكل أكل قليل منا، وتورع الكثير ولم يتناولوه وبقوا على جوعهم والذين أكلوا لم يصلهم نداء العراقى على ما اعتقد.

بعد فترة جلبوا لنا ملابس، فيا لها من ملابس عجيبة! كانت عبارة عن قطعة واحده، قميص وسروال مخيطان مع بعضهما مثل تلك التي يرتديها أصحاب الورش والمكانيكية (أبرول) إذا أردنا أن نقضي حاجتنا كان لا بد من إنزالها إلى الساقين ويكون الجزء العلوي من جسمك مكشوفًا مع العلم بأن مكان قضاء الحاجة لم يكن في حمامات مسوّرة إنما كان في ساحه مكشوفة داخل حظيرة كبيرة انظر إلى أى حدّ وصل بهم الخبث والدناءه.

جاءني داخل هذه الحظيرة على ماذكر ثلاثة أو أربعة ووضعوا عليّ قيود حديدية وسحبوني إلى غرف التحقيق والركلات تتوالى عليّ مع أفظع أنواع الشتائم واللعنات واللكمات، والإخوة بالقرب منى يحثوني على الثبات على الحق وألا أتزعزع ويقولون لى: الله معك ولاتحزن، الله معك ولا تحزن، وصلت إلى غرفة التحقيق وهي عبارة عن خيمة يجلس بداخلها المحقق ويحيط به جنود شاهرين أسلحتهم تحسبًا لأي طارئ، من غرائب الأمور التي تفاجأت بها ولم أكن أتوقعها هو أن المحقق كان ضابطًا مصريًا،كان جميع أسئلته الموجه إلى تتركز حول الشيخ أسامه بن لادن ﷺ، كنت أجيب عليه قائلًا لا أعرفه ولم أره، وهو يقول: أن لم تجب بصدق فأنت مقتول هنا لا محالة، كان المحققون يوجهون لنا دائمًا أسئلة أستفزازية تمس العرض والشرف والكرامة، بعض الأخوه استخدموا معهم العصا الكهربائية أثناء التحقيق مثل (محمد الشمراني فك الله اسره)، بعد انتهاء الأجراءات الأولية للتحقيق أخذوني إلى حظيرة أخرى أكبر مساحة من تلك الحظيرة الأولى، تحتوي على خيمتين كبيرتين تسع كل واحدة ثلاثون أسيرًا، ويوجد في أركانها ثلاث الواح من حديد مركوزه بداخلها سطلين لقضاء الحاجة وأما الجهة

الرابعة وهي الجهة المواجه للعسكر كانت مكشوفة بحيث يروك وذلك تحسبًا لأى شيء تفعله لنفسك للتخلص من هذا الوضع.

كنت أول من دخل هذه الحظيرة مع أحد اليمنين (دحية الحضرمي فك الله اسره) وتفاجأت بصديق لي من بلاد الحرمين وهو من الذين تمكنوا من الفرار من مذبحة القلعة عبر قناه الى الخارج، كانوا قد ألقوا عليه القبض وجاءوا به إلى هنا وكان في الحظيرة المواجهة لى ويحمل الرقم (١). كانوا ياتون بالأسرى من مختلف أنحاء أفغانستان كما كانوا يأتون بأخرين من باكستان ويتم جمع بعضهم هنا وبعضهم الأخر في قاعدة (باغرام الجويه)[١] حتى بلغ عددهم قرابة الخمسمائة أسير. كانت المعامله للأسرى سيئة جدًا تتمثل في تدنيس القرآن الكريم ورميه في سطل ملئ بالغائط والبول وتوجيه الشتائم التي يعف عنها اللسان وإطلاق الكلاب البولسية لتمزيق ملابس الأسرى وعدم التحدث مع الآخرين و.. و.. ألخ.

مات عدد من الأفغان من جراء هذا العمل الوحشي كنا نؤخذ للتحقيق باستمرار بواقع مرتين في اليوم، إذا خرجت منها سالما كأنما يكتب لك عمر جديد، ظللنا تحت هذا التعذيب الجسدي والنفسي وأنواع من العقوبات الوحشية التي منها: الزحف على البطن في الحصى، الوقوف لساعات طوال حتى يغمى على أحدنا ويقع من طوله، إجبار ثلاثة من الإخوة، يأمر أحدهم بوضع يديه على عينيه والثانى، بوضعهما على فمه والثالث، يؤمر بوضع أصبعيه في أذنيه وهم وقوف، بمعنى لا أرى ولا أسمع ولا أتكلم ويطوف عليهم العسكر ضاحكين مستهزئين بهم والإخوة لا حول لهم ولا قوة أمام هذه الإستفزازات.

عندما كثر عدد المعتقلين في هذه الحظائر أذكر جاءنا وفد من أعضاء الكونغرس الأمريكي وفى صحبتهم الممثل الشهير سلفستر استالون على ما اذكر بطل أفلام

---

(١) با غرام: هى احد المدن الافغانية التى انشأ فيها الاميركان قاعدتهم الحربية بعد مدينة قندهار.

رامبو ورِوكي وأخذ عدة لقطات للأسرى المكبلين بالقيود.

كنا نرى أفراد المارينز ذوى الأجسام الضخمة وهم يحملون أمتعتهم التي يتعب البغال من حملها، كنا نعتقد بأن هؤلاء الجنود ذوى قوة وبأس وشجاعة كما رأيناهم في أفلامهم الوهمية التي يخدعون بها الناس ولكن عرفناهم عن كثب، تبين لنا أنهم مجرد نمور من ورق، وحقًا ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[١]، نعم والله سمعنا دعاياتهم المزيفه في وسائل الإعلام ويدّعون أنهم أهل قوة وبأس ويوهمون العالم لا سيما العالم الإسلامى والعربى، تالله كنا نرى الخوف في عيونهم لدرجة أن أحدنا إذا تحرك أو أحدث صوتًا ينتفض راجعًا إلى الوراء عدة أمتار كأنما صعقته كهرباء شاهرًا سلاحه في وجوهنا، ومن عجائب الأمور أننا كنا نتخيل بأن الحقيبة الضخمة التي ينوء بها مليئة بمختلف أدوات القتال فإذا بها مليئة بأنواع من الحلوى والشوكلاته والبسكويت والعصائر يعتمد عليها إعتمادًا كليًا، أكاد أجزم لو أحدنا أخذ منه تلك الحقيبة لمات كمدًا أو قل لاستسلم في الحال، وهم يحرصون على حقائبهم أكثر من حرصهم على أسلحتهم. ومن الأمور الملفتة أنهم كانوا يحرصون على توفير ماء الشرب لنا ويجبروننا على شربه بكميات كبيرة، لم أكن أعرف سر هذا إلا بعد فترة، كان السر في ذلك على حسب زعمهم بأن شرب الماء بكثره علاج لأمراض كثيرة وكان يأمروننا بتناوله تحسبًا لإنتشار الأمراض المعديه في أوساطهم.

مكثت في هذه الحظائر خمسة وعشرون يومًا فقط بينما الآخرون ظلوا فيها شهورًا وسنينا يذوقون ويلات العذاب وأنواع الإهانات والاستفزازات والشتائم المتكرره يوميًا، أتذكر حينها أخذونى من هذه الحظائر إلى معتقل غوانتنامو، جاءوا

---

(١) سورة المنافقون الآية رقم (٤).

إلى ليلًا على طريقتهم المعهودة وهى إذا أرادوا أخذ أحدنا يصيحون بأعلى أصواتهم ويوقظون الجميع ويوقفوهم في صف واحد ويأمروهم بأن يرفعوا أيديهم في أحد أركان الحظيرة ثم ينادون على رقم الشخص المطلوب ويطلبون منه الانبطاح على الأرض جاعلا يديه خلف ظهره بعد ذلك يطلقون الكلاب البولسية لتصعد فوق ظهرك بعدها يهجمون عليك في جلبه وضوضاء، ويضعون القيود على يديك ورجليك ثم يأتون بغطاء سميك ويضعونه على عينيك وتسحب سحبًا بطريقة مهينة إلى مكان منعزل تمكث فيه ساعات طويلة تحت وطأة البرد والقيود والجوع وعدم الحركة والكلام وغير ذلك إلى أن تبدأ رحلة أخرى من العذاب ألا وهى الرحله إلى غوانتنامو، قبل بدأ الرحله يجرى عليك تفتيش دقيق من قبل جنود يرتدون قفازات مطاطية واقية من الأمراض يتلوه عملية حلق شعر الرأس واللحية والشارب والحواجب بشفره حاده، ربما يأتيك جندي حاقد ويحلق شعر صدرك أو ساعدك، بعد إجراء هذه الترتيبات يصعدون بك إلى الطائرة واحدًا تلو الآخر ويصعد مع كل أسير اثنان من جنود المارينز أحدهما عن يمينه ويمسك بيده اليمنى على عضد الأسير ويضع يده اليسرى على قفاه «أى الأسير» ضاغطًا عليه لأسفل والآخر عن يسارك ويفعل مثله إلى أن يجلساك في أحد المقاعد الحديدية وتربط في حلقات مثبتة في أرضية الطائرة كما تربط الخراف ثم تشد بحزام على هذا المقعد الحديدي، ينزع الغطاء السميك بعد الصعود إلى الطائرة ويستبدل بنظارة قاتمه تمنعك الرؤية وعلى أذنيك غطاء أو سدادة تمنعك من السمع ويتم تخديرك بواسطة عقاقير لإفقادك القدرة على المقاومة والحركة. أقلعت الطائرة بنا وبعد عدة ساعات حطت إلى قاعدة أمريكية في تركيا أو ألمانيا حيث أخذوا مجموعه أخرى من المعتقلين البوسنيين من أصل جزائرى ثم واصلت رحلتها، كان يعطي لكل واحد منّا خبز «توسته» محشى بعجينة فول سودانى. أسوأ الحالات التي كانت تواجهنا حين نقاد إلى دورة المياة حيث يتم تحريرنا من الحلقة فقط أي الحلقة المثبتة على

أرضية الطائرة وندخل دورة المياه ولا نتمكن من غسل مخارج البول والغائط بالكاد ونخشى في نفس الوقت من أن نتنجس ببولنا، هذه كانت من أشد المعاناة النفسية التي كنا نعانيها، فإذا سألت عن كيفية أداة الصلاة؟ أقول لك: كنا نؤديها إيماء أي بتحريك الأصبع، بعد أكثر من عشرين ساعة طيران أخيرًا وصلنا إلى قاعدة غوانتنامو في كوبا.

أسماء الشهداء بأذن الله قبل الإنحياز وفي الاشتباك الخاطي مع الأوزبك وشهداء قلعة جانجي بأذن الله في رمضان عام ١٤٢٢هـ:

- عمر الجمهور: أبو دجانة النجدي يسكن بالرياض بحي السلي.
- ناصر اليماني: قعقاع الحارثي يسكن بالرياض.
- عبدالكريم الشهري: أيوب النجدي يسكن بالرياض بحي النسيم.
- فيحان العتيبي: أبو تراب النجدي يسكن بالرياض.
- الشيخ أبو عبدالرحمن النجدي: وهو قاضي بالرياض طويل القامة أسمر اللون وإمام مسجد.
- خالد سعد عكشمي العتيبي: أبو سعد النجدي الراجح أنه قتل يسكن بالرياض.
- أبو حبيب النجدي: أصله يمني أبيض اللون جعد الرأس هادئ الطبع.
- وليد الحضرمي: أسمر اللون ومتزوج وكان له ستة أشهر ثم سافر، عند أبوه محلات مكيفات يسكن بالرياض.
- سلمان: فاروق الحارثي طويل القامة عنده لتغة في اللسان يسكن بالرياض.
- ياسر الرميح: أبو حبيب القصيمي يسكن بالرياض بحي الربوة.
- نايف المعجل: أسامة البحريني وهو طالب علم يسكن بالرياض بحي الشفا.
- صالح المسند: النبراس الشمالي يسكن بالقصيم في بريدة بحي البصيرية.

- عبدالملك الربيش: بشر القصيمي يسكن في بريدة بحي الصناعية.

- أبو حذيفة الشرقي: أبيض اللون وهو أمرد نحيف يسكن بالشرقية.

- أبو البتار الشرقي: هو صاحب أبو حذيفة الشرقي وهو أسمر اللون.

أ- بو صلاح الدين الحساوي: حنطي اللون وجهه أفطس.

- عبدالرحمن السليماني: مصعب العربي يسكن بالطائف بحي الشطبة أخوه يوسف في كوبا.

- أحمد الوظاف: يمني عاشق الحور يسكن بالطائف بحي الشطبة.

- ماجد ثواب الثبيتي: ثوار الطائف ولد صغير جدًا خفيف اللحية.

- محمد اللهيبي: مثنى المكي أبو الرؤى يسكن بمكة بحي العتيبية.

- ياسر المطرفي: عمار المكي يسكن في مكة بالعتيبية.

- موسى أصله جيزاني: خباب المكي حنطي اللون.

- أبو معاذ المكي: طويل ثخين الصوت.

- ماجد: سارية المكي طويل القامة.

- أبو النصر النجدي: حيف هادئ الطبع يسكن بالرياض.

- أبو حيدره المكي: المشهور بقصيدة (طاح كرت البعير.

- إبراهيم الزهراني: ذكر الشهادة عمير الجداوي طويل الشعر.

- بركات علي السيد القرني: أبو زياد الجداوي يسكن في جدة بحي المنتزهات.

- عبدالعزيز العمري: عطية الزهراني طويل القامة والشعر عند وفاته.

- وعيد الحربي: مسلم الحربي يسكن في جدة بحي الجامعة.

- محمد اللهيبي: مثنى الخولاني يسكن في جدة بحي قويزة.

– عبدالله: أصله يمني كنيته صفوان متوسط القامة والجسم يسكن في جدة.

– أحمد هاشم الحربي: أبو هاشم الحربي يسكن في جدة بحي النزهة.

– خالد محمد الحربي: عاصم المدني يسكن بالدويمة.

– ماهر العلوي: جعفر المدني يسكن بالدويمة.

– عبدالله مطيران الحربي: أبو بكر المدني يسكن بالدويمة.

– محمد عبدالله الشنقيطي: يدرس في الثانوية الصناعية يسكن في المدينة بحي السيح.

– بندر اللقماني: خلاد المدني حي الجبور

– أبو زيد البدري: حنطي اللون يلبس نظارات يسكن بالمدينة

– حسن الحديدي: أبو عمر الحديدي أصله يمني نحيف الجسم طويل الشعر يسكن في مكة.

– أبو عبادة الحجازي الشهري: حنطي اللون نحيف الجسم متوسط القامة.

– ناصر المطيري: عزام الجلاوي قتل بقذيفة دبابة ظهرت منه رائحة المسك تقطع كله ماعدا نصف صدره ورأسه يسكن في جدة.

– صالح: مصعب العوذلي أصله يمني وظهرت منه رائحة المسك يلبس نظارة حنطي اللون عمره ٣٢ تقريبًا يسكن في جدة.

– ماجد الحربي: طارق الحربي حنطي اللون خفيف اللحية عريض الجسم يسكن في جدة.

– خالد البطي: أبو ذر النجدي متزوج يسكن في حفر الباطن.

– خالد: أبو حفص النجدي من أقرباء خالد البطي يسكن في حفر الباطن.

- أبو المعتصم الزهراني: قصير القامة فيه صلع في الرأس طويل اللحية أبيض اللون يسكن في الشرقية في حي الأخ أبو حذيفة الشرقي رقم ١٤.

- بابا: عبدالله البسنوي من أفريقيا أسمر اللون يسكن في مكة قُتل في الإنحياز إلى قندوز.

- أبو عبد العزيز العسيري: طويل القامة أبيض اللون متوسط اللحية كان يدرس في كلية المعلمين بعسير اتصل على أبوه في آخر الأيام وكان راضي عنه قُتل في الانحياز إلى قندوز.

- فواز جزاء الذيباني: أبو حذيفة التبوكي سمين الجسم خفيف اللحية سافر إلى أفغانستان بعد ١١ سبتمبر يسكن في تبوك.

- محمد: عبدالسلام الحضرمي قائد العرب في الشمال وهو قصير القامة حنطي اللون من عدن قُتل بسبب القصف الأمريكي.

- عبود الحضرمي: عثمان الحضرمي ابن عم عبدالسلام الحضرمي أسمر اللون قُتل في الانحياز إلى قندوز يسكن في حضرموت.

- عبدالله: أبو الحسن الأبيني: القائد المجاهد حنطي اللون، سجن في عهد الاشتراكية ٨ سنوات كان طالب علم وحافظ للقرآن.

- سامي: أبو عمر العدني نحيف الجسم خفيف اللحية حنطي اللون عمرة ٢١ سنة.

- بسام: أبو حمزة العدني أبيض اللون خفيف اللحية عمره ٢١ سنة.

- أبو مغوار التعزي: حنطي اللون جعد الشعر هادئ الطبع.

- أبو مهند التعزي: أسمر اللون صغير القامة كان مسئولا عن الأعلام في الشمال.

– أبو إسماعيل الحضرمي: أسمر اللون يسكن في حضرموت المكلا.

– أبو عكرمة الحضرمي: أسمر اللون جعد الشعر فُقد في الانحياز.

– أبو هاجر الحضرمي: أسمر اللون مبحوح الصوت فُقد في الانحياز.

– أبو ثابت القطري: طويل القامة أسمر اللون.

– أحمد الجوفي: أبو القعقاع التبوكي أحد القادة في الشمال متوسط الطول أبيض اللون جعد الشعر من اليمن.

طلال: أبو غريب الصنعاني قائد العرب بعد مقتل عبدالسلام جعد الشعر عيونه عسلية حنطي اللون.

– أبو يعقوب الأردني: طويل القامة أبيض اللون طويل اللحية وشقراء كان في جماعة التبليغ الأردن قدم من أوروبا.

– مراد: أبو عبدالله التونسي أبيض اللون طويل القامة خفيف اللحية يسكن في ألمانيا دخل أفغانستان شهر صفر **١٤٢٢** هـ.

– أبوالعطاء التعزي: طالب علم طويل القامة خفيف اللحية جدًا أبيض اللون درس في جامعة الإيمان بصنعاء.

– نجم الدين ابن الصامت: صاحب أبو العطاء، طالب علم متوسط القامة أبيض اللون خفيف اللحية.

– أبو هاجر القصيمي: متزوج يسكن بالرياض في حي السلي.

– أبو جهاد الصنعاني: حنطي اللون متوسط القامة واللحية جعد الشعر.

– أبو عبدالمعطي الجداوي الحربي: كان يعمل سائق نقل جماعي وهو متزوج من باكستانية حنطي اللون متوسط اللحية متوسط الطول والجسم يسكن في جدة.

- أبو جنيد: من أسرة ثرية أصله هندي نحيف الجسم أمرد يلبس نظارة حافظ للقرآن الكريم يسكن في مكة.

- أبو زهير الليبي: متوسط اللحية والجسم والطول حنطي اللون مبحوح الصوت.

- أبو حكيم التعزي: «كنيته مقاتل» خفيف اللحية أبيض اللون أبوه أحد مشايخ المنطقة يسكن اليمن.

- سمرقند: أبيض اللون خفيف اللحية متين قليلًا متزوج، قد سجن في سجن الرويس يسكن في جدة.

- خالد العجمي: أبو حيدرة الكويتي حنطي اللون متوسط الجسم واللحية عنده سيارة كراسيدا في التسعينات توماتيك.

- أبو حمزة الكويتي أو سيف الكويتي: متزوج من أهل الكويت كان عنده سيارة (في أكس آر) وأحترق في الكويت يُعتقد أنه مطيري حنطي اللون بدوي اللهجة متوسط الجسم واللحية.

- أبو عبدالسميع الليبي: كبير في السن طويل اللحية أبيض اللون.

- زيدان الشهري: أبو زيد الشهري قُتل في القصف الأمريكي وكان يصلي صلاة العصر وقتل وهو يصلي ﷺ.

- أبو عمر الحبيب: أسود البشرة نحيف الجسم خفيف اللحية.

- عادل يُعتقد أنه شهراني: أبو شداد أبيض اللون متوسط اللحية ناعم الشعر متوسط القامة من بلجرشي أو خميس مشيط.

- أبو عبدالعزيز النعماني: حنطي اللون متوسط الجسم والقامة يلبس نظارات قُتل متأثر بجراحه بعد القلعة وهو من اليمن.

- أبو أقص: حنطي اللون متوسط اللحية والجسم والطول يعتقد أنه من الرياض.

- عبدالله: أبو أيمن اليمني قصير القامة جدًا ومتين الجسم متوسط اللحية أخ قديم في الجهاد من اليمن.

- أبو صابر: كبير في السن خفيف اللحية أصلع الرأس قليلًا متوسط الطول والجسم يعتقد أنه مغربي من سكان - ألمانيا.

- أبو عبدالرحمن الكردي: طويل القامة أبيض اللون عمرة ٣٢ تقريبًا من العراق مدينة السلمانية.

- أبو فاروق المغربي: طويل جدًا أبيض اللون متوسط اللحية، رجل رياضي حصل على بعض الجوائز في الألعاب الأولمبية يجيد لعبة الكونفو والكاراتية.

- أبو عبدالملك النجدي: أشقر الشعر أبيض اللون كأنه شامي.

- فارس: أبو عيسى الجداوي طويل اللحية والشعر متزوج وهو من الأخوان حنطي اللون عمره ٣٥ تقريبًا.

- أبو بصير: وهو أخو فارس طويل الشعر متوسط اللحية أبيض اللون (مفقود في وقت الانحياز لا نعلم عنه شيئًا).

- أبو ياسر العدني: أبيض اللون عريض الوجه جعد الشعر متوسط اللحية أخوة أسمه عثمان في كوبا.

وبهذا انتهت الأسماء التي عندي، نسأل الله العظيم أن يتقبل منا شهدائنا وأن يغفر لهم ويتقبلهم ويسكنهم في الفردوس الأعلى من الجنة وأن يلحقنا بهم عاجلًا غير آجل. يا رب العالمين، اللهم آمين.

الفصل الرابع

* في غياهب غوانتنموا.
* غوانتنموا أين تقع؟
* الوصول إلى غوانتنموا.
* كيف كانت تسير التحقيقات؟

الفصل الرابع

❑ في غياهب معتقل غوانتنامو

خليج غوانتنامو مكان ساحر وبديع، تقع عينك هناك على جمال الطبيعة في كل شيء: الماء والهواء، المساحات الخضراء المتناهية الاتساع لكن هذا الجمال يحمل في طياته معسكرات مقسمة تشبه الثكنات العسكرية محاطة بأسوار عالية يحرسها الجنود من كل أتجاه عليها بوابة تحمل عنوان واحد هو: عنوان الضياع والموت لكل من يدخلها.. إنه معتقل غوانتنامو.

غوانتنامو اسم سيذكره التاريخ طويلًا بعد أن نسيه لسنوات عديده، ومعتقلها سيظل شاهدًا حيًا على ممارسات الولايات المتحدة المثيره للجدل بعد أن أفقدتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر الكثير من هيبتها. في هذه المنطقة المعزوله من العالم يعيش حفنه من البشر بلا محاكمه منذ ثمانية أعوام ومن المنطقي أن يكون بينهم الكثير من الأبرياء ولكن لا أحد يستمع إليهم أو يصدقهم هناك.

❑ غوانتنامو اين تقع؟:

تعتبر قاعده غوانتنامو البحرية أخر قاعدة عسكرية في أميريكا اللاتينيه.. وهي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لدولة كوبا. فقد شيدها الأسبان أثناء الأستعمار الأسباني لكوبا وجعلوها سجنا بتلك المنطقة ليقمع فيها نشطاء الثورة الكوبية، لكن الكوبيين بمساعدة جيرانهم الأمريكان تمكنوا من تحرير كوبا منذ نحو ما يزيد عن مائة عام ويومها طلبت أمريكا عام ١٩٠٣م من جارتها الصديقة كوبا أن تستأجر تلك المنطقة التي تقع أقصى جنوب شرق البلاد مقابل مبلغ أربعة آلاف دولار سنويا. كبادرة امتنان من الكوبيين لوقفة الأمريكان إلى جانبهم في حرب التحرير

وافقت الحكومة الكوبية على تأجيرهم لها، ومعلوم أنها تبعد حوالى الف كلم من العاصمة هافانا، ومن اللافت للنظر أن الحكومات الكوبية المتعاقبة لم تقم بصرف أى شيك من الشيكات التي لا زالت الولايات المتحدة تقدمها لها حتى الأن.. وذلك إشارة من الكوبين إلى اعتراضهم على التواجد الأمريكى لديهم حتى ولو كان في منطقة معزولة ومقابل مبلغ متفق عليها.

حين اندلعت أزمة الصواريخ السوفيتية في أكتوبر ١٩٦٢م التي كادت تدفع العالم إلى شفير حرب نووية قامت فرقة من ثمانية عشر ألف جندى كوبي بحراسة قاعدة غوانتنامو وتمّ زراعة المنطقه المحيطه بها بالألغام، ومع انتهاء الحرب البارده بين أمريكا وروسيا وحلفائهم فقدت القاعدة أهميتها الاستراتيجية وباتت تستخدم كمعسكر للتدريب. مع أفول نجم الإتحاد السوفيتى السابق وانفراد الولايات المتحده بالعالم وتحولها إلى القطب الأوحد.. عادت هذه البقعة إلى دائرة الضوء مره أخرى بعد أن بدأ نقل أسرى معركة الحرب على الإرهاب إليها، منذ قيام الثورة الكوبية يطالب فيدل كاسترو استعادة هذا الجيب الأمريكى، كان البعض يخشى أن يثور غضب الكوبين بعد إعلان وصول أسرى طالبان والقاعدة من أفغانستان إليها. يذكر أن الولايات المتحدة قد استشعرت خطرًا شديدًا من كوبا أربعة مرات على الأقل.. مما دفعها لإعلان حالة الإستعداد القصوى في القاعدة عندما شعر الأمريكيون أنها يمكن أن تعود للكوبيين، كانت المرة الأولى أثناء الثوره الكوبية عام ١٩٠٦م ثم كانت الثانية أثناء الثورة الثانية التي قادها الرئيس كاسترو ورفيق كفاحه جيفارا عام ١٩٥٩م ثم كانت الثالثة أثناء أزمة الصواريخ السوفيتيه عام ١٩٦٢م عندما أمر الرئيس كاسترو بقطع امدادات المياه عن القاعدة مما دفع الأمريكين فيما بعد إنشاء محطة لتحلية المياه ووفرت الإكتفاء الذاتى من مياه الشرب لقاعدة غوانتنامو. فهذا المعتقل بات من أشهر المعتقلات في العالم فهو

يضم جنسيات عديدة مشتركة في سمه واحدة وهى أنهم مسلمون وأنهم مشتبه في تورطهم في أعمال إرهابية مجرد شك ليس أكثر، قامت أمريكا بإرسال كل من قامت بالقبض عليهم في المعركة التي سماها الحرب ضد الإرهاب إلى كوبا ووضعتهم في مئات الأقفاص، فمع وصول أسرى القاعده وطالبان إلى غوانتنامو تبدأ رحلة اخرى من العذاب، حيث تقف عدة عربات مسلحة منتشره في استقبال الأسرى وعلى متنها جنود يحملون المدافع والرشاشات فضلًا عن عربة تحمل قاذفه قنابل يدوية وبجانب هذه العربات المسلحه يقف جنود آخرون من المارينز على أهبة الاستعداد لأى طارئ كما توجد قوات من القناصة متخفية على جانبى القاعدة علاوة على مروحية تحلق فوق القاعدة لحراستها من الأعلى.

مجرد أن تصل الطائره إلى المدرج فإن الجنود الأمريكان يسرعون للإحاطة بالطائره التي تحمل الأسرى في مشهد لايختلف كثيرًا عما يقوم به الحرس الخاص بأى رئيس دولة عند نزوله من طائرتة. بعد هذه المقدمة دعنى أيها القارئ أسرد لك تفاصيل ما كان يحدث لنا في هذا المعتقل الرهيب.

❑ الوصول إلى غونتناموا يوم الأحد الموافق ٢٠ يناير ٢٠٠٢م:

نزلنا من الطائرة تحت وابل من السباب والشتائم واللعنات وجاءنا صوت أحد المترجمين وهو يصرخ: لا تتحرك لا تتكلم، أنت تحت قبضة القوات الأمريكية المارينز ثم يردف صارخًا، اجلس على ركبتيك خافضًا رأسك ولا تتلفت ولا تتحرك، نجلس على هذه الوضعية لعدة ساعات بعدها تأتى حافلات خالية من المقاعد ومثبته على أرضيتها حلقات حديدية أيضا كما في الطائره، يتم رفعنا وتثبيتنا بالسلاسل على هذه الحلقات ونحن جاثون على ركبنا مع مزيد من الركلات والصيحات المزعجه، بعد دقائق تدخل بنا الحافلة إلى عبّارة عسكرية وبعد حوالى

ربع الساعة تنزل بنا إلى اليابسة وتشق الطرقات إلى أن تصل البوابة الرئيسية لمعتقل إكس راى x-ray وفى ساحتها نظل جاثين على ركبنا خافضي الرأس ويقف فوق رأسك اثنان من جنود المارينز يركلانك إذا حاولت أن تحدث أى حركة ونبقى في هذه الساحة لساعات طوال، بعد أن نجرد من ملابسنا تمامًا ويدخلونا تحت جدار مثبت عليه صنبور ماء يتحكمون عليه من بعيد، يفتح الماء عليك بقوه ويصرخون على وجهك بأعلى صوت: إغسل يديك، إغسل رأسك، إغسل رجليك، إغسل ظهرك.. إلخ، وهكذا ثم جاءوا إلينا بملابس برتقالية «الزى الخاص بالسجناء». بعد هذا نعاد في القيد مرة أخرى وتمر عبر عدة غرف للكشف الطبى مثله مثل تلك الغرف التي مررنا عبرها في قندهار، بعد إجراء عمليات الكشف الطبى يؤخذ منا قياسات الطول والوزن ويوضع في معصمك شريط بلاستيكى عليه جميع البيانات الاسم، تاريخ الميلاد، الرقم، الدولة التي تنتمي إليها، الطول، الوزن، فصيلة الدم وغيرها، بعد هذا يسحبونك داخل خيمة ويتم تصويرك من جميع الزوايا وتؤمر تحت معاملة قاسية وصيحات متوالية وجلبة ولكمات بأن تكتب رسالة قصيره، إذا سألت لمن؟ يردون عليك: إلى الجحيم، هذه الطريقة الذكية المقصود منها معرفة ما أذا كنت تعرف القراءة والكتابة أو تحاول تخدعهم أن بتغير اسم والدتك أو والدك أو أن تكتب اسم أي شخص آخر تعرفه ويسالونك عنه في ما بعد إذا أنكرتها وذلك عند إجراء التحقيق معك.

أنزلونا في زنزانات انفرادية مصنوعة من أسلاك الفولاذ داخل عنبر كبير تصتف على جانبيه على شكل أقفاص مساحة كل واحده منها ١٨٠سم X ٢٤٠ سم بأرتفاع ٢٤٠سم أرضيتها من الأسمنت وبداخلها سطلين أحدهما لقضاء الحاجه - أكرمك الله - والآخر للغسل كما يمنح لك حذاء حمام، صابون حمام، فرشة أسنان، معجون، حافظة ماء صغيره «زمزمية» فرش بلاستيكى سمكه ٢سم و منشفة صغيرة.

كانت هذه الزنازين في بادئ الأمر لاتطاق بسبب الثعابين والعقارب والضفادع التي كانت تتسلق عليها وتقفز إلى الأسرى من خلال الفتحات من أعلى وأسفل نسبه لوجود هذه الزنازين في أرض مستنقعات قريبة من المحيط، يحيط بها سلسلة من الهضاب مكسوة بالخضرة والعسكر يجوبون حول هذه الزنازين جيئة وذهابًا ونسمع أصوات السلاسل والصياح وهم يسحبون أحد الإخوة على زنزانته، كنا ممنوعين في داخل هذه الزنازين من أداء شعائر الصلاة والقيام والحركة والإلتفات والتحدث مع الجار والأعجب من ذلك أن حلاقة الرأس واللحية والحواجب والشارب قد غيرت من ملامحنا كثيرًا لدرجة أننا لم نكد نعرف بعضنا إلا بعد أن يذكر اسمه، كان شيئا مضحكًا ومثيرًا للحزن في آن واحد، نسبة لتزايد أعداد المعتقلين في هذا العنبر جاءوا بعمال كوبيين لتشييد مزيد من العنابر والأقفاص، كنا نراهم وهم يعملون بجد وهمه ونشاط والضباط الأمريكان يشرفون عليهم، كان يسنون لنا يوميًا قوانين ولوائح جديده، أتذكر أول كرامة ظهرت لنا في خضم هذا البلاء العظيم القوانين الصارمة هى أنها كانت توجد على أطراف العنابر حمامات للغسل عليها أبواب من الفولاذ مكشوفه، جاء مجموعة من جنود المارينز وقالوا للإخوه: استعدوا للحمام وأخذوا اثنين أو ثلاثة من زنازينهم بعد أن جردوهم من ملابسهم وسحبوهم إلى الحمامات وأجبروهم على الغسل عراه وأعادوهم إلى زنازينهم وهم عراه أيضًا أمام إخوانهم، كنا بقدر الإمكان نداري أنظارنا منهم حتى لا تقع على عوراتهم وهم يعيدون الكرة وإذا رفضنا أو تظاهرنا بالنظافة يقال لنا هذا قانون إجبارى ولا بد من الإستحمام عاريًا يوميًا.

عاش الإخوة حقيقة في ضغوط نفسية ولحظات عصيبة لا أستطيع أن أصفها لك وهم يرون إخوانهم يساقون أمامهم هكذا، بعضهم أخذ بالعزيمة وحاول أن يقاوم فيطرحه الجنود أرضًا ويسحب على الحصى حتى يوصلوه إلى الحمام، هنا قام

الإخوه جميعًا وتوضأوا ووقفوا أمام جبار السموات والأرض رافعين أكف الضراعة والدموع تنهمر على خدودهم سائلين منه رفع هذا البلاء العظيم فلم تمر لحظات إلا ودخل مسئول كبير إلى العنبر آمرًا الجنود بتنفيذ قانون جديد صدر لتوه بإيقاف تجريد الملابس وجعل ستار للحمامات وتوزيع سراويل قصيره لكل واحد على الفور، بكينا مرة أخرى ولكن هذه المره من شدة الفرح واستشعرنا عظمة الله وقدرته وإن هؤلاء الحثالة والأوغاد وعبدة الطاغوت لن يضرونا إلا بماكتبه الله لنا.

أما الطعام فكان يتكون من وجبتين في الأيام الأولى يأتى الجنود بالوجبات ويضعونها أمام الزنازين وتكون معرضة للتهوية والبرودة والتراب لفترات طويلة ويا ويل من يمد يده ويسحبها إلى الداخل قبل إعطاء الأوامر، تصور هذه الحالة الطعام أمامك والجوع ينهشك وأنت مغلوب على أمرك ولا حول لك ولا حيله.

بدأوا بأخذ الإخوه واحدا تلو الأخر إلى العيادة الملحقة بالمعسكر لإجراء عمليات الكشف الطبى والفحوصات كانوا يسحبوننا على نقالة بعد تقييد اليدين والرجلين على حافة النقالة يصل الأسير إلى غرفة العيادة فيأتى الطبيب ويغرز في جسمك إبره ضخمة ويسحب كميات كبيره من الدم حتى تشعر بضعف وإعياء وخمول يسري في أنحاء جسدك، يحفظ هذا الدم بعد ذلك في ثلاجات عديدة إذا سألتهم لماذا تأخذون كل هذه الكمية؟ يردون علينا: نأخذها لأجراء الفحص الطبى ونتفاجأ فيما بعد بأن هذا الدم يتم إرساله لإسعاف جنودهم المصابين في أفغانستان، بعد أن يسحب منا الدم نعود إلى الزنازين وبعد لحظات تأتى ممرضه«وهى عادة مجندة أمريكية» وهى تحمل في يدها أقراص في حدود خمسة عشر قرص وتأمرك بتناولها على الفور لئلا يحصل أى مضاعفات.

❑ كيف كانت تسير التحقيقات؟:

بعد التأكد من خلونا من الأمراض المعدية أو المزمنة ونستعيد النشاط والحيوية يأتى إليك ثلاثة من الجنود والشرر يتطاير من عيونهم وتسمع صوت السلاسل والقيود تحدث ضجيجًا وتختلط مع صياحهم وجلبتهم ويركلون باب الزنزانة بقوه عدة مرات وهم يصرخون في وجهك: قم تحرك، ما رقمك؟ أنت الآن مطلوب للتحقيق. إذا استاذنتهم بأن يعطوك مهلة لقضاء الحاجة أو نحو ذلك يقولون: لا مجال لك اقضى حاجتك هناك، يتقدم أحدهم حاملًا المفتاح ويمسك بقفل الباب والآخر يأمرك بإخراج يدك عبر طاقة صغيرة وسط الباب ويقبض كفيك بسرعة ويفتحهما بعنف مع ترقب وحذر يشوبهما خوف في وجهه وإضطراب في يده في مشهد لا يختلف كثيرًا عن من يقيد أسدًا ثم يأتى الثالث ويضع القيود «كلبشات» على يديك آمرًا بألا تنظر في وجهه ومن ثم يدلى السلاسل إلى الرجلين ويدخل يده من خلال الطاقة الصغيرة في أسفل الباب مقيدًا رجليك في حذر شديد، بعد هذه المراحل يفتحون باب الزنزانة ويخرجونك، ثم يسير أحدهم عن يمينك ويمسك بيده على عضدك ويضع يده اليسرى على قفاك ضاغطًا عليه والآخر عن يسارك يفعل مثله والثالث يمشى خلفك مباشرة تحسبًا لأى طارئ وإن أبديت أى مقاومة تطرح على الأرض وتسحب أو ترفع على نقالة وتمرّ أمام إخوانك القابعين خلف الشبك الحديدى وهم يرفعون أكفهم سائلين المولى عزوجل أن ينزل عليك السكينة ويلهمك الصبر ويثبتك على الحق، عند وصولك أمام مبنى التحقيق تجدها محاطه بأسلاك شائكة حولها جنود ينتشرون ومعهم كلاب بوليسية شرسة تكاد تنفلت من قيادها كلما رأت أسيرًا يقاد إلى التحقيق، يوقفون هؤلاء الجنود الأسير ويأخذون معلومات دقيقه من جنود آخرين في رفقة الأسير، وتتضمن هذه المعلومات. اسم الأسير، رقمه، أى عنبر؟ من أي زنزانة؟ ثم بعد ذلك يدلوهم على غرفة التحقيق المخصصة له، تساق إلى غرفة مساحتها تقريبا ٣X٣ متر مبنية من أخشاب متينة مثبتة

في سقفها كشافات ذات إضاءة قوية وباهرة، وفى أعلى أحد الزوايا كاميرا تصوير تسجل جميع مايجرى أثناء التحقيق وفى وسطها طاولة كبيرة بجانبها أربعة أو خمسة كراسى مواجهة لكرسي الأسير، عادة يؤتى بالأسير ويؤمر بالجلوس بهذا الكرسى ويشد بسلسلة على حلقة حديدية تحت كرسيه وفى أعلى الجدار جهاز تكييف يستخدم أحيانًا كوسيلة لتعذيب الأسير وذلك برفع درجة برودته ويترك الأسير تحته عدة ساعات، وهناك خلف كراسى المحققين مباشرة لوحة مثبتة على الجدار تحتوى على ثلاثه أزرار، زر للطوارئ الصحية وزر لفرقة مكافحة الشغب، وزر لا أدرى لأى شئ خصص، يقاد الأسير ويؤمر بالجلوس ويشد على حلقة بقفل ضخم، بعد هذا يخرج الجنود ويظل الأسير قابعًا فيها والكاميرا تصور وأطباء نفسيون في غرفة مجاورة يشاهدونه عبر شاشات من حيث لا تراهم، يمكث الأسير في كرسيه عدة ساعات في انتظار وصول المحققين مع أنهم لا يأتون قبل الأسير حتى لايكونوا المنتظرين لكبر في أنفسهم، بعد هذا الانتظار الطويل يدخل عليه المحققون بطريقة وحشية منهم من يركل الباب بقوة بقدمه ومنهم من يهجم على الأسير ويخنقه سائلًا: ما أسمك؟ وذلك لإدخال الرعب والفزع في نفس الأسير وبالتالى يتمكن من انتزاع المعلومات التي يريدها بهذه الطريقة المرعبة، يبدأ من الأسئله صارخًا، ما أسمك؟ ما جنسيتك؟ في أي مكان قبض عليك؟ ما علاقتك بتنظيم القاعدة؟ وهكذا...، إذا أجبتهم بالنفي، يصرخ في وجهك مرة أخرى قائلًا: إنك لا تريد أن تتعاون معنا ثم يأمر بسحب الكرسي الذى تجلس عليه والإتيان بكتلة خراسانية لتجلس عليها وأنت طبعًا مقيد ويخرج وتظل وحدك في الغرفة بعد أن يرفع من درجة البرودة وتظل تحت وطأة البرودة وأنت تعاني ما تعاني من هذه الجلسة وثقل القيد وآلامه لفترة طويلة إلى أول الليل، بعده يأخذونك إلى الزنزانة مرة أخرى ويرجعونك إلى غرفة التحقيق ويعاودون على تكرار الأسئلة السابقه، إذا صممت على موقفك تبقى فوق الكتلة الخرسانية حتى الصباح مع مزيد

من البرودة، هذا الأسلوب كان أهون أساليب التحقيق وشيئًا مألوفًا ومتكررًا وأذكر من ضمن أساليبهم ما كنا نسمعه من الإخوه وقرأته في كتاب صدر حديثًا يحمل عنوان «غوانتناموا المعتقل الرهيب» للكاتب سامى الدهشان وأميرة فكري يذكران ما قاله الأخ المعتقل جمعة الدوسرى حيث يقول: في إحدى جلسات الاستجواب، قامت إحدى المحققات بنثر دم حيضها عليّ بعد أن قام أربعة من أفراد الشرطة العسكرية بتكبيلى وقالت لي: أن هذه هي فرصتى الأخيرة للاعتراف بأني إرهابي وعضو في تنظيم القاعدة وأني متورط في هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ثم أجبرنى أفراد الشرطة العسكرية على الاستلقاء على الظهر، وكبلوا أرجلى في حلقة مثبته من الأرض، وقيدوا يدي ورفعوها فوق رأسي وأنا على الأرض، ثم قامت المحققة بإعطاء إشارة للبدء في قطع ملابسي بالمقص، بعدها قامت المحققة بخلع ملابسها الخارجية ووقفت فوقى، ثم خلعت ملابسها الداخلية ونزعت فوطة صحية كانت تضعها مما جعل دم الحيض ينساب على جسدى وعلى أعضائى التناسلية، ثم لطخت صدرى بالدم، ولم تجد محاولاتى للإفلات من القيد، ثم قامت بتقبيل صليب كانت تلبسه، وقالت لى هذه هدية من المسيح لكم أيها المسلمون، ثم قامت بتلطيخ وجهى ضاحكة هي وأفراد الشرطة!! وبعد رحيل الشرطة تركونى نحو ساعتين أو ثلاثة ساعات قبل أن يسمحوا لى بالاستحمام ثم قادونى إلى الزنزانة مرة أخرى وكان أفراد من الشرطة العسكرية يقوم بتصوير الواقعة بكمرة فيديو كان يحملها، ونفس هذا الأسلوب حصل أيضًا مع أخينا يعقوب السورى.

لاشك أنني عايشت هذه التحقيقات وخضعت إليها على أيدي عدة محققين، في فترات متفاوته ما بين شهر أو شهرين حتى وصل عددهم نحو خمس وسبعون محققًا كل واحد منهم له أسلوبه الخاص في التحقيق والتعذيب معًا، كنت أسمع من بعض الإخوة الذين خضعوا للتحقيق كيف كان يتم أسلوب التحقيق معهم، منهم من كان يتحفظ حتى لا يثير الخوف في نفوس الآخرين ويكتفى قائلًا: الأمور طيبة

والحمد الله في حين أنه ذاق الويل، ومنهم من ياتى صامتًا بالمرة ويظل علي صمته يومًا كاملًا، أو أكثر ولا ندري ما حصل له.

دعنى أذكر لك طرفًا من أساليب التعذيب التي أوردها الكاتبان وقد عايشت وسمعت عنها من هؤلاء المعتقلين قبل وأثناء وبعد وصولنا إلى غوانتناموا أذكر منها:

- الخطف.
- إرغام المرء علي المشي عاري القدمين علي أسلاك شائكة.
- عصب العينين.
- منع التنفس بوضع اليد علي الفم وأنف المعتقل لمنعه من التنفس.
- المعاملة الوحشية لإخراج المعتقل من زنزانته بالقوة.
- استخدام الرزاز الكيماوى - رزاز الفلفل.
- الإحراق بالسجائر.
- إدخال المعتقل داخل خزانة ثم إغلاقها.
- التهديد بالقتل.
- التلاعب بالحمية الغذائية.
- استخدام الكلاب للتهديد والتخويف.
- الرش بالماء البارد.
- الصعق بالصدمات الكهربائية والتهديد بها.
- التعريض للطقس والحرارة القاسية عن طريق تكييف الهواء.
- لف المعتقل بالعلم الإسرائيلى أو الأمريكى خلال الاستجواب أو قبله.
- الحرمان من الطعام والماء.

- الإرغام علي الحلاقة مثل حلق شعر الرأس أو الجسد أو الوجه.
- الحقن القسرى بمواد غير معروفة.
- الإرغام علي الإستلقاء علي الظهر أو مؤخرة الساقين.
- تغطية الرأس والوجه.
- احتجاز الرهائن أي احتجاز أشخاص لإجبار أقربائهم علي تسليم أنفسهم.
- الإذلال، مثلًا الزحف القسرى والإرغام على تقليد أصوات الحيوانات والتبول علي المرء.
- التغطيس في الماء لخلق الاحساس بالغرق.
- الاعتقال بمعزل عن العالم الخارجى.
- خلق الشعور بالخنق أو الأختناق.
- الحرمان من الوضوء.
- الموسيقى الصاخبة والضجيج والصراخ.
- تصوير فوتغرافى وفيديو كضرب من ضروب الإذلال.
- الاعتداء الجسدى مثل الركل واللكم والضرب بالأيدى والخراطيم والهروات والمسدسات.
- الإستجواب المطول مثلًا لمدة عشرون ساعة.
- الحرمان من مقابلة الأقرباء أو الرقابة المفرطة علي الإتصالات معهم.
- التعصب الدينى مثلًا الإزدراء بالقرآن والشعائر الدينية.
- الإعتقال الأسري.
- النقل السري.

- الحرمان من استخدام الحواس.
- الإذلال الجنسى.
- الإعتداء الجنسى.
- الإعتدا المفرط والقاسى للأغلال والأصفاد بما فيه التقييد بالاغلال القصيرة.
- تغيير نمط النوم.
- الحرمان من النوم.
- الحبس الانفرادى لفترات مطولة مثلًا لمدة شهر أو أكثر من سنة.
- الأوضاع الجسدية التي تسبب الإجهاد والركوع الوقوف القسرى المطول.
- الاستخدام المفرط أو المهين للتجريد من الملابس بحجة التفتيش.
- الأضواء القوية على مدار الساعة.
- التهديد بالاغتصاب.
- التهديد بالانتقام من الأقرباء.
- التهديد بالنقل إلى دولة ثالثة لزرع الخوف من التعذيب أو الإعدام.
- التهديد بالنقل إلى غوانتنامو.
- التهديد بالتعذيب وسوء المعاملة.
- سحب بنود الترفيه أو الغذاء بما فيه البنود الدينية.
- حجب المعلومات عن المعتقل.
- الامتناع عن توفير العقاقير الطبيه.
- عدم السماح باستخدام المرحاض مما يؤدى إلى التبول أو التبرز في الملابس «انتهى كلام الكاتبان».

دعنى أيها القارئ الكريم أوضح لك بالتفصيل بعض هذه الأساليب التي أوردها في كتابهما فليسمحا لي أن أضيف إلى معلوماتهما بعض الحقائق وأتناولها بالشرح بحكم أننى كنت شاهدًا علي ذلك وصاحب تجربة سابقة لهذا المعتقل.

الخطف :

كان يحدث من قبل الاستخبارات الأمريكية بالتعاون مع الدولة المتواجد فيها المختطف مثل غامبيا التي اختطف منها المواطن العراقى (بشر الراوي) وكذلك المواطن الأردني (جميل البنا)، وأما لما حدث في باكستان فحدث ولا حرج حيث كان أفراد من الاستخبارات الباكستانية تقتحم المنزل ليلًا ونهارًا، ويخطف الشخص من بين أولاده وأسرته خاصة بعد أن عرف الباكستانيون إلا من رحم ربى بأن الأمريكان يدفعون مبالغ مقدرة من الدولارات لمن يقبض على عربي أو يبلّغ عنه، تكالب الباكستانيون علي تبليغ الاستخبارات الأمريكية والباكستانية على أماكن تواجد العرب وأصبح هذا الأسلوب تجارة رائجه عندهم والله إنها لبئس التجارة وبئس الأسلوب.

استخدام الرزاز الكيماوى - رزاز الفلفل :

كنا نطلق عليها اسم البخاخ (Spery)، وكان لا يحمله إلا الضباط في بادى الأمر إذا أرادوا الدخول علي الأسير ياتى الضابط في بادئ الأمر ويرش البخاخ على وجه الأسير ويفقده الرؤيه تمامًا ويقف أمام باب الزنزانة فرقة الشغب المكونة من ستة جنود عليهم ملابس خاصة ثقيلة ودرع من البلاستيك المقوى علي الصدر ليتفادى لكمة الأسير إذا هم بذلك ودرع صغير على الركبتين وعلي مفصل المرفقين والكوعين وواقي بلاستيكي علي الساقين ويضع على رأسه خوذة حديدية ذات شبك ليحمى بها رأسه ووجهه ويلف عنقه بشريط مطاطى يحافظ به علي الحنجرة ويكون ثلاث منهم في أيدهم دروع بلاستيكية مقوية علاوة علي الخوذة ذات الشبك كتلك التي تستخدمها قوات مكافحة الشغب والتظاهرات. يقف خلف هؤلاء الثلاثة عشرة

آخرون أربعة منهم من حراس العنبر وأثنان من الممرضين يحملون حقيبة للإسعافات الأولية وواحد بيده كمرة فيديو يصور المشهد ومترجم وضابط يحمل زراز الفلفل بالإضافة إلى قائد المجموعة وهو عادة يكون من ذوي الرتب الرفيعة، يرش الضابط الرزاز على وجه الأسير ويفقده الرؤية ويتخبط يمنة ويسره ويضع يديه على عينيه من شدة الألم والحرارة عندها يفتح الباب ويهجم عليه ستة بطريقة وحشية ويطرحوه أرضًا ويقيدون يديه خلف ظهره ويضعون الأصفاد علي رجليه ويحمل إلى الخارج، بعد هذا يبدأ تفتيشه تفتيشًا دقيقًا بينما جنود العنبر يشرعون في تفتيش الزنزانة بطريقة فوضوية للبحث عما يريدونه وصاحب الكاميرة يديرها تارة علي الأسير الملقي على الأرض وتارة أخرى على غرفته المبعثرة واحد الممرضين يقف فوق رأسه سائلًا أبك كسر؟ هل تريد الطبيب هل تستطيع أن تتنفس؟ وما إلى ذلك من الأسئلة والآخر يحمل مادة طبية خاصة مخففة للسخونة والالام ويرش بها على وجهك لتعيد الرؤية مرة أخرى وأما القائد فيقف متربعًا يديه في تباهي وصلف وينظر ما يفعله الجنود بالأسير، بعد انتهاء هذه العملية يعاد الأسير إلى زنزانته حيث يخرج الجنود المرافقون في هذه الأثناء تبقى مكبلًا بالقيد ويبقى أحدهم يمسك يد الأسير المطروح على الأرض ويحرره من القيد وهو جالس على ظهر الأسير ومجرد أن يفرغ من مهمته يجذبه زملاءه إلى الخارج بسرعة فائقة ويغلق عليه الباب في الحال خوفًا من أن ينهض الأسير ويلكمه أو يركله برجله. هل تدري أيها القارئ الأسباب التي تدفعهم للدخول علي الأسير بهذه الهيئة؟ تصور تفاهة الأسباب معي، وإليك بعضًا منها:

- مثلًا إذا فقدوا الملعقة البلاستيكية الصغيرة التي صرفت لك أم لم تصرف.
- إذا وقع تحت نظر الحارس ظرف ملح فارغ داخل الزنزانة وطلب منك أن تناوله ولم تتجاوب معه.
- إذا رفض الأسير تبديل الملابس.

أما الأسباب المنطقية التي تدفعهم إلى المجيء لأخذ الأسير بهذه الطريقة هي :-

- عدم الذاهب إلى غرف التحقيق.
- عدم الذهاب إلى العيادة.
- رفض الخضوع للتفتيش الإجبارى.
- أفتعال أي سبب يرونه لإيقاع بك حسب طلب المحقق.

التهديد بالقتل:

يؤتى بالأسير إلى غرف التحقيق وقد يكون عادة في حالة حبس انفرادى ولم يكن قد رأى إخوانه الأسرى من قبل، يهددونه بقولهم: لا أحد يعرف بأنك هنا، وأن لم تعترف قتلناك هنا وهذا الأسلوب يطبق لإجبار الأسير للحصول على معلومات دقيقة حصل لكثير من الإخوة ولكن لم تحقق نجاحًا.

التلاعب بالحمية الغذائية:

يستغرق هذا عدة أيام وشهور وهو أن يقلل وجبة الطعام ويخلو من المواد ذات السعرات الحرارية والقيمة الغذائيه معًا يؤدى ذلك إلى النحافة وانخفاض الوزن وإن أرادو إعادة وزنه كما كان، يعاد الوجبة كما كانت.

التعرض للطقس والحرارة القاسية ويكون عن طريق تكييف الهواء:

بعد أن يؤخذ الأسير إلى غرف التحقيق يترك تحت درجة حرارة عالية لمدة طويلة ثم يتعرض للبرودة القاسية مباشرة، ومعلوم أن انتقال الشخص من بروده عالية إلى حرارة عالية مباشرة يؤدى لأنفلونزا والتهابات وغيرها وإذا طلبت العلاج لابد أن يكون ثمنه التعاون مع المحقق.

لف المعتقل بالعلم الإسرائيلي أو الأمريكى خلال الاستجواب:

حصل هذا لأحد الأخوة من بلاد الحرمين يدعى عبد الهادى الشارخ ودنسوا

القرآن الكريم أمام عينيه واللف بالعلم رسالة إلى العرب والمسلمين ولفت أنظارهم بأننا نحن اليهود والأمريكان هنا نتحكم في هذا المعسكر.

احتجاز الرهائن أي أحتجاز أشخاص لإجبار أقربائهم علي تسليم أنفسهم:

هذا حدث على حسب علمي وبما رواه لى أهل اليمن يحدث في بلادهم وهو شيء طبيعى عندهم.

الاعتقال بمعزل عن العالم الخارجى:

هذا كان يحصل لكل المعتقلين بغوانتنامو خاصة لأصحاب الحبس الانفرادى فمثلًا لم يسمح لنا بمشاهدة التلفاز أو قراءة الصحف أو الاتصال بالأهل أو مقابلة أي شخص وهذا أدى إلى عزلنا عن العالم الخارجي.

خلق الشعور بالخنق والأختناق:

ربما يقصد به السحر، كانوا ياتون بسحرة يهود ليعقدوا العقد وينفثوا فيها فيصاب الأسير بالصرع وحالات هستيرية ويخيل إليه بأنه يخنق، كان يصاب بالسحر ويرى المحقق وأشخاصًا أخرين يحدثونه بأن يقول الصدق ويعترف بأنه من تنظيم القاعدة وآخرون لا يذوقون طعم النوم لمدة ثلاثة أيام من تأثير السحر بل أكثر من هذا بان يرى الأسير أمه وزوجته وأخته عراة أمامه ويتمتم بكلمات كأنما يراهم حقيقة ويكون المحققون على علم مسبق بهذا حتى إذا جاء الأسير أمامهم يسألونه بخبث: كيف حالك الآن؟ بماذا تشعر؟ إذ تجاويت معهم في الحوار يقولون له هل تريد العلاج مما حل لك؟ إذا رد الأسير لهم بالإيجاب يقولون له لدينا أسئلة إذا أجبتها بصدق ستشفى مما بك. وأتذكر حالات كثيرة من تأثير السحر منها. يرى الأسير عصفورة ويتخيل بانها تحادثه وتأمره بخلع ملابسه كلها ويفعل هذا. هنا يأمره أحد الإخوة بأرتداء ملابسه وكذلك الحارس فلا يستجيب لهما لأنه فاقد

الوعي بفعل السحر فيشرع أخوه في قراءة القرآن الكريم فيستعيد وعيه تدريجيًا بعده يرتدي ملابسه ولكن يعيش بعد ذلك في حالة نفسية سيئة واكتئاب وعزلة.

ومنها وهذا كان يحدث عند تناول وجبه الإفطار أن يسمع المسحور أو قل يخيل إليه أنه يسمع هاتفًا ياتيه ويأمره بأن يتبول في كوب الحليب الذي يهم أن يشربه ويتهيأ للتبول فيه عندئذ يزجره أقرب أخ له بعد ذلك يستفيق مما هو فيه. ومنها أن يدخل المسحور إلى دورة المياه الملحقة بزنزانته ويمكث فيها طويلًا وعندما يشعر جاره بهذا وهو عل علم بحالته - يشرع في قراءة القرآن الكريم فيخرج في الحال. ومنها من يعيش في حالة إكتئاب وانطواء عن إخوانه ويتخيل إليه بأنهم أعداء له ويكرهونه ومنها الذي يعيش في صداع دائم لا يستطيع التركيز مع فقدان الشهية في الطعام حتي يصيبه الهزال والضعف. ومنها الذى يتكلم من الصباح حتي المساء دون توقف من غير وعي طبعًا. ومنها الذي يقع على الأرض مصروعًا ويضطرب كالحيوان المذبوح ويظل يتخبط يمنة ويسرة ويضرب ما حوله حتي تخور قواه ويهدأ أو تدخل عليه الطبيبة وتعالجه بالمهدئات وبعد الاستفاقة مما أصابه يأتى الجنود ويأخذونه إلى غرف التحقيق حيث يكون هناك نوع من المساومة بينه وبين المحقق قائم على العلاج مقابل التعاون والاعتراف بأنه من تنظيم القاعدة أو طالبان ولكن الإخوة بحمد الله لم يرضخوا لمثل هذه المساومات القائمة على الابتزاز الرخيص وبفضل الله وقدرته ولطفه استطاع الإخوة مجابهة هذا البلاء بقراءة القرآن الكريم والتحصين بالأذكار.

الحرمان من الوضوء:

الحرمان من الوضوء ويكون عادة بالتحكم على صنبور الماء داخل الزنزانة من الخارج لا سيما قبل الصلاة بدقائق ولا يعاد الماء إلا بعد أن يخرج وقت الصلاة.

الموسيقى الصاخبة والضجيج والصراخ:

يكون هذا الأسلوب في داخل غرف التحقيق وذلك بعد أن يئس المحقق من

انتزاع المعلومات يصرخ على وجه الأسير ويسبه ويرسل لمن يأتي إليه بجهاز أستريو كبير عالي الصوت ويشغله بالقرب من الأسير ويخرج، هذا على نطاق الغرفة وأما خارج الغرفة فهناك سماعات مركبة في جميع أنحاء المعسكرات يتم التحكم عليها من غرفة الكنترول حيث يبدأون بتشغيل الموسيقى الصاخبة قبل وبعد الأذان مباشرة.

التصوير الفتواغرافي والفيديو كضرب من ضروب الاذلال:

كان هذا الأسلوب يستخدم لخداع الإخوة فمثلا التصوير الفتوغرافى، يؤتى بالأسير في غرفة التحقيق ويمد له صورة فتوغرافية لشخص قد يعرفه الأسير أو لا يعرفه يكون فيه صاحب الصورة مشوه الوجه وفيه أثار الضرب واللكم وملطخ بالدماء يقال له: هذا الشخص عذّب في إحدى الدول العربية واعترف بكل شئ على نفسه وعليك فلا نريد منك أن تتعبنا معك ونعاهدك بالا نلجأ إلى ما لجاءوا اليه، ونريد منك فقط أن تساعدنا وتساعد نفسك حتى نصل إلى ما نريده منك. ومن هذه الأساليب دبلجة صورة الأسير بوضعية خليعة مع إحدى المومسات كنوع من أنواع الابتزاز. أما التصوير بالفيديو فيؤتى بالأسير ويعامل معاملة طيبة وحسنه ويقدم له على الطاولة كل ما لذ وطاب من الطعام، بيتزا، معجنات، شكولاته بأنواعها، الفواكه بأنواعها، العصائر بأنواعها، ثم يجلس معه المحققون ويشاركونه في تناول الطعام في جو يسوده الضحك والمرح والبساطة والكمرة تصورهم من حيث لا يراها الأسير وهم في هذا الحال طبعًا الأسير يلاحظ كل هذا في صمت واستغراب وذهول، في هذا الجو غير العادي للآسير يسأله المحققون بعض الاسئلة، الغرض من كل هذا ضرب عصفورين بحجر، الأول لعلهم يجدون من الأسير الاستجابة ويحصلون علي معلومات والثاني الإتيان بأسير آخر له سابق معرفة بصاحبه الأول ويعرضون عليه صور الفيديو التي تتضمن الضحكات

المصطنعة والطاولة المليئة ويقولون له هذا صاحبك فلان الفلانى في المعسكر المجاور لك قد اعترف عليك بكل شئ بعد أن أنعمنا عليه كما ترى علمًا بأن صاحبه لم ينطق عنه بكلمة واحدة.

الاعتداء الجسدي مثل اللكم والركل والضرب بالأيدي والخراطيم والمسدسات:

أكثر ما كان يستعمل هذا الأسلوب في قاعدة قندهار وباغرام بالمقارنه مع غوانتنامو وكان أكثر ما يؤدى إلى إزهاق روح الأسير لحقد في نفوسهم ولا يوجد معيار معين لاستعماله فالجنود كان لديهم صلاحية كاملة من قبل إدارة المعسكر لذلك كنت ألاحظ بعض الجنود حين يضرب الأسير ليس للذنب جناه ولكن ليثبت للفتاه المجندة بأنه لا يخشى هؤلاء الوحوش ولو كان الأسير مطلقًا لما تجرأ علي ضربه بل كان سيطلق ساقية للريح فرارًا وما أجبنهم عند النزال! كثيرون من الإخوة قتلوا من جراء هذا الأسلوب.

تصور معي أيها القارئ رجل عجوز تجاوز المائة وعشرة من عمره يضرب من قبل أطفال مراهقين تابعين لأفراد القوات الأمريكية بدون مراعاة لإنسانيته، كان هذا واحدًا من الإهانات التي بسببها أراد الإخوة خطف السلاح من الجنود والاشتباك معهم وتدمير القاعدة بإذن الله كما حدث في قلعة الجنك ولكن صرف الله ﷻ هذه الأفكار من عقول الإخوة بعد عدة رؤى راوها في منامهم لشئ يريده الله تعالي، فمنهم من كان يرى الحبيب المصطفي ﷺ ومنهم من كان يرى الشيخ اسامه بن لادن يأمره بألا يلجأ إلى هذه الأفكار، صبر الإخوة على الضرب والاستفزازات المتكرر بصورة يوميه، تركتهم علي حالهم ونقلت إلى القاعدة الأمريكية بغونتنامو وهناك أخذت نصيبى من الضرب بأنواعه.

التعصب الدينيى مثلًا الإزدراء بالقرآن والشعائر الدينيه:

حقيقة لم يتعبنا أي أسلوب نفسي بمثل ما كان يتعبنا إهانة القرآن الكريم حتى وصل بعض الإخوة إلى درجة الإنهيار العصبي بسبب ما يراه ولا يستطيع أن يفعل شيئًا وهو في قفص من الفولاذ ومن شدة الغضب يضغط على أسنانه وتكاد يده التي تمسك الحديد تنزف دمًا ويدعو الله تعالي ويتمنى لو فتح الله الباب حتى ينقض على هذا الوغد النجس ويشفى غليله بقتله فداء لله وذودًا عن كتابه الكريم، والإدارة والجنود يعلمون علم اليقين خطورة هذا الأسلوب وكان أكثر الإهانات لكتاب الله الكريم في قاعدة قندهار وباغرام حيث يؤتى بالقرآن الكريم ويغمس ويوضع في سطل ملئ بالبول والغائط، أكرمك الله ولسان حالهم يقول: هذا هو كتابكم الذي تعظمون فمكانه هنا كما تروه، وبعض منهم كان يمزق القرآن الكريم ويأخذ من صفحاته ويمسح بها حذاؤه وإذا أراد تفتيش الكتاب الكريم يمسكه من طرف غلافه ويتركه يتدلى وينفضه باستهزاء كأنه يمسك بطائر من إحد جناحيه ثم يلقيه على الأرض ويقول: آسف سقط مني دون قصد، الأسرى الذين لا يتكلمون في غرف التحقيق ولا يستجيبون لاستفزازاتهم يأتون بالكتاب الكريم ويضعوه تحت أقدام المحقق حتى يثير مشاعر الأسير ويعذّب نفسيًا وهذه رسالة للأسير بأن كتابكم الكريم إنما يهان ويدنس بسببك، لأنك إذا استجبت وتعاونت معنا نوقف هذا الأسلوب ويرضى عنك الرب!! أيها القارئ أسألك بالذى رفع السموات بغير عمد ماذا تتوقع لمثل هذه الامة؟ لا أتعجب من أفعالهم بقدر ما أتعجب من أناس من بنى جلدتنا يدافعون عن هؤلاء ويحبونهم ويفخرون بأنهم يحملون جنسية أمة ضلت وأضلت والأعجب من هذا الذين يساندونهم بالعده والعتاد وفتح أراضيهم لقواعدهم العسكرية ويذودنهم بالمال لتقوية أنفسهم ومحاربة المسلمين إنها والله لبئس التجارة وبئس الربح وصدق الصادق المصدوق محمد ﷺ حين قال: «يحشر المرء ما من أحب». لا أريد أن أطيل عليك في هذا المقام فما فعله هؤلاء في

كتاب الله من تدنيس وتمزيق وإهانات وإستهزاء بما ورد من أيات لا يحصى ولا يعد وقد كنا نحذر المحققين وإدارة المعسكر والجنود من غضب الله ونزول نقمه عليهم كنا نذكرهم بما حدث قبل سنين قليله في تركيا عندما أهين القرآن الكريم في إحد القواعد العسكرية التابعة لليهود والأمريكان، فجاء أمر الله بالخسف، وذلك عندما أنشقت الأرض وابتلعت القاعدة بمن فيها وما فيها ولم ينج إلا الشخص الذي حذرهم، والقصة مشهورة ومعروفة فالحديث ليس ببعيد ولكن وجدنا آذانًا صمًا وعيونًا عميًا ونسأل الله تعالى أن يشدد على قلوبهم حتى يروا العذاب الأليم.

الحرمان من النوم:

كان يستعمل هذا الأسلوب في غرفة التحقيق عن طريق الاستجوابات المطولة لعدة ساعات ويذهب الأسير بعد ذلك إلى الزنزانة وقبل أن يخلد إلى النوم يأتى الجنود ويأخذونه إلى غرفه التحقيق مرة أخرى ويجلس عده ساعات ولا يحضر المحقق أو من ينوب عنه عند غيابه حتى يطيل الجلسة، وأسلوب آخر يتم عن طريق إدارة المعسكر والجنود للعنبر بأكمله، والعنابر الانفراديه، يبدأ من أول الليل إلى الفجر بأسلوب قانونى حسب قولهم عندما يخلد الإخوة إلى النوم جميعًا يحضر العسكر السطول الحديدية والمكانس والمناشف وخرطوم ماء طويل ويسكبوا مادة مطهرة قوية الرائحة على الأرضية الحديدية حتي يصل بعض الإخوة إلى حد الاختناق بسبب الرائحة خاصة الذين لديهم حساسية أو المصابون بالربو والأزمة بينما الجنود يضعون كمامات على أنوفهم ويشرعون في عملية الغسيل مع ضرب أبواب الزنازين بالمكانس والضحك والصياح ورفع الأصوات بالغناء الجماعي والأسير يتقلب يمنة ويسرة إلى أن يصبح الصباح وتأتى المجموعة الثانية لاستلام الوردية، يحدث هذا في العنابر العادية بشكل شبه يومي أما في العنابر الانفرادية تستعمل هذه المادة السامة ذات الرائحة الكريهة يوميًا بصورة كثيرة.

الحبس الانفرادي لفترات مطولة مثلًا لمدة شهر أو أكثر:

كانت تعتبر هذه الإنفراديات للتعذيب الجماعي ويشمل التعذيب الجسدي والنفسي فهي عبارة عن عدة (حاويات) ملتحمة بعضها مع بعض كل أثنين مع بعض ويواجههما من الجهة المقابلة اثنان آخران بنفس الهيئة ومقسم من الداخل إلى زنازين لكل واحد شفاط للهواء وتكيف مركزي، في السنين الأولى كانت مظلمة تمامًا أما في السنين الأخيرة فقد وصلوا فيها إضاءة قوية إذا وضعت في ملعب رياضي لأضاءت نصفه، وهي في حالة أضاءة دائمة ليلًا ونهارًا ولها تأثير سلبي علي الدماغ، في هذه الغرف تحدث عدة ممارسات منافية لكل الأعراف ولا يقرها الشرع ولا القوانين خصصت هذه الغرف للعقوبات ومن يدخلها يحرم من جميع اللوازم الضرورية فمثلًا لا يحق لك أن تملك صابون ولا فرشة أسنان ولا معجون ولا كوب ونحوه، محرم من كل شيء إلا ملابسك التي ترتديها وحصير من بلاستيك والإضاءه القوية مسلطه عليك والتكيف المركزي يفتت عظامك وتمنع منعًا باتًا التحدث مع أخيك الذى لا تراه في الزنزانة المجاورة ولو تكلمت معه أو رددت ﷺ يشدد عليك في المعاملة ويمدد لك فترة الحبس، طبعًا النوم قليل جدًا والخروج إلى ساحة الرياضة قليل أيضًا وكذا الاستحمام، والذى كان يتعب الإخوة في هذه الأماكن حين يصاب بالجنابة لعدم وجود شئ يستتر به من أعين الحراس وقله الماء، فوق ذلك البرودة الشديدة بواسطة التكيف المركزي وعدم وجود منشفة وملابسك مبتلة لا تملك غيرها وتضطر أن تلبسها في هذا الجو البارد بدلًا من أن تجلس عريانًا، والجنود ينظرون إليك كل دقيقة أو تسحب إلى غرف التحقيق من هذا المكان ويتفنن المحققون في أساليب التعذيب ولا يعلم أحد بما يحصل للأسير إلا الله ﷻ ثم هؤلاء.

هذه الانفراديات منعزلة عن بقية العنابر والداخل فيه ينعزل تمامًا عن الآخرين،

كان معظم أنواع التعذيب يتم في هذه الغرف وكذلك غرف التحقيق، أتذكر بانه جاورني في أحد العنابر أسير من بلاد الحرمين يدعى (ياسر الزهراني) أحد الناجين من مذبحة القلعة قتل في المعتقل فيما بعد وحكى لي أشياء حصلت في عنابر الانفراديات تندى لها الجبين. فالزهراني كان له شجاعة نادرة رغم صغر سنه وكان له مواقف وبطولات في ملحمة قلعة الجنك، كان بمثابة شوكة حوت في حلوق الأمريكان، كان لا يرضخ لهم ولا يلتزم بتنفيذ الأوامر وأن وجد فرصة في لطم الأمريكي أيًا كان لا يتوانى وكل هذه السنين هو في الغرف الانفرادية نادرًا ما ينقل إلى أخوانه في العنابر لذلك كان الإخوة يشتاقون إلى رؤيته، كان أغلب العسكر يحقدون عليه وكذلك المحققون لانه لا يتكلم في التحقيق. وقد عانى معاناة شديدة بسبب ورم صغير في ظهره عند نهاية السلسلة الفقرية رفض الأطباء علاجه إلى أن يأتيهم الأمر من المحقق ومع مرور الأيام وسوء العناية الطبية فتح الورم وأصبح جرحًا ينزف الدم والصديد، طلب من الممرض التنظيف فقط مجرد تنظيف رفض ومع الأيام توسع الجرح وكثر الصديد والدم حتى وصل به الحال بأن عجز عن الركوع والسجود في الصلاة، وإدارة المعسكر والمحققون يطلبون منه التعاون معهم وأن يعترف بأنه له علاقة بتنظيم القاعدة حتى يعالج، رفض وصمد أمام التحديات والمغريات حتى قتل، وعلمت فيما بعد أن الورم كان بسبب رقاده لفترات طويلة علي الحديد في الغرف الانفرادية لأنه كان يعاقب فوق العقوبة بسحب فراشة البلاستيكي ويضطر أن ينام علي الحديد علاوة علي التعرض لبرودة جهاز التكييف، وفي أحد الأيام ذهب إلى التحقيق وعند عودته تفاجأ بأن الزنزانة كلها قد رش بالبخاخ «رزاز الفلفل» لا يستطيع أن يلمس الحديد ولا الجلوس ولا الرقود بسبب هذه المادة الحارقة، هذا أبسط الممارسات في الغرفة الأنفراديه يكفى فقط أن يسحب منك الأغراض وترفع درجة التكييف والغرفة كلها من حديد

حتى تصاب بالروماتزم، من أراد معلومات أضافيه عن هذا الشاب الشجاع فليدخل إلى موقع الأسرى في النت سيجد صورة له ورسائل معبرة بخط يده نسأل الله تعالي أن يغفر له ويرفع درجاته، هذا الذى ذكرته نذر قليل من ما يمارس في الحبس الإنفرادى.

التهديد بالنقل إلى دولة ثالثة لزرع الخوف من التعذيب أو الإعدام:

بعض الأسرى تم تعذيبهم في الأردن ودول عربية أخرى سمعت هذا من ألسنتهم وسمعت أيضًا من الإخوة بأن خالد الشيخ محمد ورمزى بن شيبه وبن عتش رموز القاعدة معهم أحد عشر آخرون كان يتم تحقيقهم داخل بارجة عسكرية أمريكية وينقلون إلى تلك البلاد العربية ثم يعودون بهم مرة أخرى إلى متن البارجة ومن ثم العودة إلى هناك وهلمجرا، انتشر الخبر بين الأسرى وسمعوا ما يجرى من تعذيب في تلك البلاد فاستغلها المحققون لتهديد الأسير بنقله إلى دولة أخرى للتعذيب الشديد إذا لم يعترف ويقولون له نحن أرحم من تلك البلاد وينشر أمامه صور لإخوه عراة وصور إخوه الدماء تسيل منهم لينظر ويستكين، والإخوة التركستانيون كانوا دائمًا يهددون بالنقل إلى الصين وكذلك الجزائريون والمغاربة والتوانسة والليبيون وكانوا يهددونهم بالعودة إلى بلادهم.

في إحدى جلسات التحقيق حاول أحد المحققين الأمريكان تهديدي بالنقل إلى السودان عرفت بأن المسكين لا يعرف شيئًا عن السودان. قلت له أنا أريد أن أذهب إلى السودان قال لي: ألا يوجد تعذيب عندكم، قلت له: لم أر ولم أسمع عن أي تعذيب لماذا أعذّب؟ بعد هذا لم يجرأوا على تهديدى بالنقل إلى السودان. بل حاولوا اغرائى أيام أزمة دارفور بأن أطلب منهم حق اللجوء السياسى. إلى أى دولة حتي يقولوا بأن السودانيين في كوبا طلبوا حق اللجوء السياسى لعدم استقرار السودان ويستغلوا الوضع لصالحهم ولكن بفضل الله خاب مسعاهم ولم يجدوا ما يبغونه طلبت بشده العودة إلى السودان وكان عودًا حميدًا.

سحب بنود الترفيه أو الغذاء بما فيها البنود الدينية:

فكل أسير لديه داخل الزنزانة فرشة من بلاستيك سمكها ٢ سنتمتر وطولها متر ونصف أخضر اللون، صابون، معجون، فرشة أسنان، بطانية، حذاء حمام، منشفه صغيرة ومصحف. والإدارة لها قوانين كثيرة جدًا، إذا خالفت القانون تسحب منك جميع هذه الأغراض والعقوبات تطبق على مستوى الأمر الذى تخالفه، مثلًا إذا تفلت على العسكري تعاقب لمدة شهر وتنقل إلى الزنازين الإنفرادية وتسحب منك أغراضك وإذا خرجت إلى ممارسة الرياضة أو التحقيق أو الإستحمام يوضع على فمك كمامة، وإذا رميت العسكري أو غيره بالغائط أو البول تعاقب لمدة شهر أو شهرين ويحلق شاربك ولحيتك وتنقل إلى الزنازين الإنفرادية بعد سحب جميع البنود بما فيها القرآن الكريم ويصل إلى أن تسحب منك الفرش وتنام على الحديد ويتم تغيير طعامك إلى شعير، وإذا ضربت العسكري فالعقوبة أشد وأكبر وأما المخالفات الصغيرة تكون عقوبتها لمدة ثلاث إلى خمسة عشر يوم وتسحب منك السجادة التي تصلي عليها والسبحة (كانت تستخدم لتكرار الأيات القرانية للحفظ) فهم لا يتركون شيئًا يؤذيك وإلا استعملوه.

الامتناع عن توفير العقاقير الطبية:

كان هذا من الأساليب التي تستعمل من قبل المحققين بالتعاون مع الأطباء، فقد الطب في هذا المكان قيمته الإنسانية وما عاد الأطباء رسل رحمة، كل أسير له ملف طبي من أول دخوله إلى كوبا أي معتقل غوانتامو وهذا الملف لا يراه الأسير ولا يعرف ما يكتب فيه ولا يعلم حتى نوع الأمراض التي ظهرت له، تحجب عنه كل المعلومات الطبية المتعلقة بصحته.

كان الإخوه يدعون الله أن لا يمرض أحد في هذا المكان فإذا مرضت فأنت في بلاء آخر وعذاب أشد وخاصه إذا جاءك آلم في الكلية أو حصى في مجرى البول أو

الأضراس فيا فرحة المحقق بذلك فأنه يتركك تتألم وتتلوى كالثعبان من شدة الآلم من جراء الحصوة ولا تستطيع أن تبول، تطلب العيادة ويتصل العسكري في العيادة مخبرًا بأن الأسير رقم كذا يتلوى ويتألم فينظر الطبيب في الملفات إذا وجد أنك من المتعاونيين مع المحقق يرسل الفرقة الطبية أو الممرض ويجرى لك الفوحصات وأما اذا كنت غير متعاون تترك في مكانك إلى أن يشفيك الله، هذا الأسلوب هو المتبع إذا كنت غير متعاون أو متعاون وكان لك مرض معدى أو مميت فتعالج بالقوى حتى لا تعدى الجنود، ومن يطلب إجراء عملية جراحية في أي موضع من جسده يحضر له ورقة يوقع عليها بالموافقة ويأتون بأطباء تحت التدريب لا يستطيع حتى أن يمسك المقص ويجرى لك العملية، أتذكر جاء بجواري أخ أسير يدعى عمران الطائفى (كنيته جندل) من بلاد الحرمين. وجدت إحدى رجليه كانت أقصر من الآخرى، وحين سألته عن أخباره قال لي: أجريت لى أكثر من خمسة عشر عملية، أخذوا عظمة من فخذي ووضعوه في الرجل وبعد شهر جاء طبيب أخر وقال: يجب أن نأخذ عظمة أخرى وبعد شهور فشلت ثم اجريت بعدها عدة عمليات كلها لم تنجح، وفي إحدى العمليات وجدت أن الممرض يريد أن يخدر ظهري ليأخذ عظمة من الكتف أو من مكان آخر، رفضت وخرجت من غرفة العملية وإلى الآن أعاني من قصر في رجلي، ما كان يقوم به الأطباء ما هي إلا تجارب لكسب الخبرة، كنا نرى بعد كل فترة يستبدلون طبيب أسنان بطبيب آخر، إذا أصبت بالآم في الأسنان وذهبت الى الطبيب ينظر إلى ضرسك فيقول: هذا به سوس من الداخل واحتمال يؤثر علي بقية الأضراس ويتفاقم الآمر ويجب عليك ان تخلعه، وإذا طلبت منه أن ينظفه ويحشوه يقول: نحن لا يسمح لنا بالحشوه هنا، فقط مهمتنا الخلع ومن شدة الآلم تضطر وتستجيب للخلع ويتم التخدير ويخلع الضرس، ويعد الانتهاء تذهب إلى الزنزانة وتتفاجأ بعد انتهاء مفعول المخدر أن

الذى خلع ضرس آخر سليم غير المطلوب للخلع ماذا تفعل؟ وإلى من تشتكي لغير الله وأنت في زنزانة متر في مترين ولا أحد يسمعك وبعد أيام تعاودك الآلم مرة أخرى بشدة ويمنعك النوم والطعام وإذا أستمر الحال هكذا تذهب وتخلعه ماذا تفعل؟ كثيرون تم خلع أسنانهم السليمة، عندها علمنا سبب توافد أطباء الأسنان واستبدالهم تلو الآخر، كان الغرض منه التدريب وكسب الخبرة كما ذكرت. في أمريكا لا يخلعون الأضراس أو الآسنان بالسهل أبدًا ولا هنالك أناس يذهبون لخلع الاسنان وطبيب الأسنان يتخرج من الجامعة ويعمل في المستشفيات والعيادات لفترة طويلة ولا يخلع ضرسًا لأحد، أما هنا فقد وجدوا ضالتهم في الأسرى فنحن في نظرهم لسنا بشرًا، علمت من أحد المترجمين بأن هؤلاء الأطباء يأتون للتدريب ويدفعون مبالغ للعمل هنا وكان هذا سبب استبدالهم المستمر بآخرين لأن مدته في التدريب قد انتهت. أما أطباء العيون فحدث ولا حرج كثير من الأسرى كانت لهم نظارات طبية أخذت منهم واستبدلت بنظارات مدمرة للعيون وكثير من الإخوة ضعف نظرهم وإذا وجدوا علاجًا يكون بنسبة ١%.

التهديد بالنقل إلى غوانتنامو:

كان يحدث هذا التهديد في قاعدة قندهار وباغرام قد اكتظ معتقل غوانتنامو بالأسرى توقفت عمليات الترحيل إليه، وبعد توقف الترحيل وجدوا أسراهم في هذين المعتقلين في قندهار وباغرام تزداد بالأسرى حتي بلغ الآلآف وأصبحوا يهددونهم بالنقل إلى غوانتناموا خاصة بعد أن ظهر اسمه على المسرح كأشهر معتقل عرفه العالم.

أريد أيها القارئ أن أوضح لك حقيقة توصلت إليها بعدة دلائل ذات صلة بهذا العنوان (التهديد والنقل إلى غوانتنامو) فالأمريكان لهم أسلوب ماكر في نشر الشائعات بمعنى أن يفعلوا شيئًا ويريدوا غيره تمامًا، في هذه السنوات السبع التي

قضيتها في هذا المعتقل إدارة المعسكر تشدد وبقوه علي عدم تسرب أي معلومة تخص هذا المعتقل وما يمارس فيه من تعذيب وأهانة وما إلى ذلك حتى هذه اللحظة وفي نفس الوقت يسمحون لبعض الجهات بتسريب أدق المعلومات والممارسات والتقارير المدعمة بالصورة لأسرى عذبوا وانتهكت أعراضهم، ويضيفون في هذه التقارير أساليب أخرى فظيعة لم تطبق بعد، الغرض منها توجيه رسالة إلى الأمة الإسلامية والعربية وخاصة أصحاب الفريضة الغائبة (الجهاد) وكل من تسول له نفسه بالمساس بالمصالح الأمريكية والرعايا الأمريكان في أي بقاع من الأرض فإنما مكانه هنا أي في هذا المعتقل الذي تعرفونه فكل هذا الزخم الإعلامى والتضخيم الصحفى حدث داخل هذه السجون استغلتها دوائر الإعلام الغربى وبعض المنظمات الحقوقيه لصالح أمريكا وجعلوا منهاماردا مخيفًا، لا أتهم كل المنظمات والجهات الإعلامية بالتطبيل والموالاه للأمريكان بل كان وما يزال هنالك أناس صادقون في الضغط على أمريكا إعلاميًا بينما هناك أياد تعمل في الخفاء وتصطاد في المياه العكرة لتخويف المسلمين لذلك كنت أتجنب الحديث عن التعذيب النفسي والجسدي في المعتقل للإعلام وعند البده في هذا الكتاب وجدت أنه لا بد من ذكر بعض الممارسات والأساليب لأنها أصبحت جزءًا من حياتي التي عشتها، ذكرتها لأوضح للشباب المسلم المجاهد بأن طريق الجهاد محفوف بالمكاره ولابد من بذل المهج والأرواح ولابد أن تراق فيه الدماء وأن تأسر وتعذب وأن الصحابة رضوان الله عليهم لاقوا أكثر مما لاقينا وأن هذا الدين لم يأت إلينا إلا بعد أن أراقوا دماءهم الغالية من أجله وصبروا على البلاء واسأل الله تعالى أن يتقبل من كل مجاهد خرج لإعلاء كلمة الله وكل أسير شيك بشوكة في سبيل الله، وألا يغتر الناس بأمريكا فهى جوفاء من الداخل، وبهذا أكون قد أوضحت لك بعض الممارسات التي كانت تستخدم في غوانتنامو.

الفصل الخامس

* العيادة النفسية.
* نبذة عن إدارة المعسكر والجنود.
* المعسكرات.
* المحامون هم الورقة الأخيرة للأمريكان.
* حقائق لا يعلمها الكثير.
* بعض الرؤى الصادقة والكرامات.

الفصل الخامس

❑ العيادات النفسية:

دعني انتقل بك إلى منحى آخر يتعلق بهذا المعسكر ويتمثل في العيادة النفسية، عند دخولنا في معسكر x-ray بغوانتنامو شرعت إدارة المعسكر بإنشاء مستشفى للأمراض النفسية على حسب تكهناتهم بأن هؤلاء الأسرى لن يستطيعوا على الصبر والصمود داخل هذه الزنازين الصغيرة المصنوعة من الفولاذ وخاصة الزنازين الأنفرادية، علاوة علي تطبيق أساليب التعذيب الوحشية، تخيلوا بأنهم هولاء سوف يصابون بإنهيار نفسي وعصبى لذا شيدوا المستشفى النفسي وجهزوها أحسن تجهيز لاستقبال الأسرى في خلال ثلاثة أشهر من دخولهم المعتقل، مضت ثلاثة أشهر والشهر الرابع والخامس والسادس.. إلخ، تفاجأت إدارة المستشفى واحتارت في أمرها حين لم يحضر أحد ولم يصب بمرض نفسي أو عصبي رغم ما فعل بهم في قندهار ورغم الأسلوب الوحشي الذى كان يصاحب عمليات الترحيل ورغم الشده والقسوة التي أستعملت عند وصولهم لغوانتنامو، طوال المدة التي حددت أصبح الأطباء النفسيون يتجولون داخل العنابر مندهشين من هؤلاء الأسرى الذين يعيشون كل هذه الفترة في هذه الغرف الضيقة التي لا تسع رجلًا طوله مترين ولا يصاب أحد منهم بأمراض نفسية أو عصبية ولسان حالهم يقول أي نوع من البشر هؤلاء!! وأي جلد وصبر هذا الذي يحملونه بين جنبيهم!!

بدأت إدارة المعسكر بالتعاون مع العيادة النفسية لوضع خطه ذكية لإدخال هؤلاء الأسرى في المستشفى النفسى حتى يتم تشخيص هؤلاء المجاهدين، فكان أولى الخطوات هى أن يعرفوا مشاكل الأسرى وتم ذلك عن طريق أحد الضباط كانت

مهمته الوحيدة أن يحمل دفترًا أخضرًا ويمر على الأسرى عنبرًا عنبرًا وزنزانة زنزانة ويرافقه أحد المترجمين العرب وأن كان الأسير غير عربي يطلب المترجم حسب لغة الأسير، ويسأله ما هى المشاكل التي تواجهك في هذا المكان؟ ويخبر الأسير بأنه سوف يرفع هذه المشاكل لإدارة المعسكر حتى ينظر فيها ومن ثم يحدد العلاج ويشرع الأسير في سرد مشاكله بنفس طيبه وبنيه صادقة، منهم من يخبره بأمراضه ومنهم من يطلب النقل من زنزانة إلى أخرى ومنهم. . إلخ، هكذا يمر على جميع الأسرى وبعد الانتهاء يرفع تقاريره إلى العيادة النفسية والإدارة واليوم التالى يتجول في عنبر آخر وهلمجرا لمدة شهر ويعاود الكره في الشهر التالي، تقوم إدارة المعسكر والعيادة النفسية بدراسة هذه المشاكل ليس من أجل حلها ولكنها تستخدمها سلاحًا ضدهم فيما بعد، فما كان يقوم به الضباط ليس سوى معرفة مكامن الضعف لدى الأسرى حتي يتمكنوا من هزيمتهم فكريًا ونفسيًا بعد أن وجدوا الصمود والثبات لديهم، كثير من الأسرى امتنعوا عن سرد مشاكلهم للضباط ولكن قليل منهم من أخبرهم بنقطة ضعفه واستعملت كعقوبات للجميع نكاية لهم، مثلًا إذا أخبر أحد الأسرى الضباط بأنه مريض بالربو بعد ذلك يسجله الضابط ويسجل رقم زنزانته ورقمه الشخصى ويذهب، وبعدها يصدر من الإدارة الأوامر للعسكر بأن تسكب مادة مطهرة قوية الرائحة في الماء عند نظافة العنبر ليختنق برائحتها المصاب بالربو وغير المصاب حتى يكادوا يفقدوا وعيهم. وبعد أيام يبدأ العسكر في عنبر آخر ويستعملون هذه المادة بكمية كبيرة وصارت أحد الأساليب المتبعة للعقوبة إلى الآن. وإذا قلت لهم بأنك تريد أن تنتقل من زنزانتك إلى أخرى بسبب الصدى الذي يعلو الحديد يسجلها ولا يتم النقل بل تمكث فيها سنة أو أكثر علي الحديد المصدي، وإذا طلبت كتب دينية يؤتى لك بمجلات هابطة وكتب مخالفة لعقيدتك ما من شئ تقوله إلا وتجد عكسه تمامًا وما من شئ تتوقع

منه الخير إلا وتجد الشر وهكذا. فقد وصلت بهم الوقاحة بأن يأتى العسكري إلى الأسير الذى بدولته قاعدة أمريكية ويخبره بجمال بناتهم اللآتى ضاجعوهن في القاعدة وذلك أستفزازًا لهم ويترك الأسير في حيرة من أمره، مما يجعله يفكر في بنات الإسلام وما حل بهن.

أما العيادة النفسية بعد أن وجدت الكساد في تجارتها اتخذت أساليب لملئ المستشفى حتى لا يخسروا العقاقير النفسية والمخدرات التي جلبت بكميات كبيرة لظنهم بأنه سيكون هناك حالات نفسية كثيرة، وضعوا خطتهم وكشروا عن أنيابهم وحصلوا على صلاحيات عالية ليكونوا السبب الأول في جنون الأسير وجعله منهارًا وإليك أساليبهم وإعمالهم القذرة.

يأتي العسكري ومعه المترجم يطلب منك أن تعطيه ملابسك وإذا سألت لماذا؟ يقول لك الطبيب النفسي أمر بذلك لأنه يرى بأنك ربما تشنق نفسك بها، وتحاورهم في غضب مبديًا أى علامة للرفض يردون عليك: إذن أنت ترفض، تقول له: أنا لست رافضًا ولكن كيف أمكث عريانًا؟ يرد عليك بكل وقاحة، اجلس عريانًا، والعسكر والإخوان من حولك ينظرون إليك وتكون في حيرة من أمرك وتقول وكيف أصلى؟ وكيف أنام؟

وإذا طلبت الطبيب النفسي يقال لك أخلع أولًا ملابسك وسوف نعطيك قميص طويل من البلاستيك تستر به عورتك، وإذا رفضت يخبرون قوه الشغب ليجردوك من ملابسك تمامًا ويتم تفتيشك، وكان الأفضل في هذه الحالات أن نخلع ملابسنا دون أن نحتك مع قوة الشغب حتى لا يلمسوا عوراتنا وتخلع في ضيق وتبرم في حالة نفسية سيئة ويأتي الطبيب فقد وجد تجارته رابحة ويسألك أسئلة سخيفة ويقول ما المشكلة؟ ماذا تريد؟ أتريد أن تقتل نفسك؟ أقول له من قال ذلك، يقول: أحسست بأنك غير طبيعي وخشينا أن تفعل شيئًا في نفسك وسوف نعطيك ملابسك

بعد ثلاثة أيام إذ استقرت حالتك، وبعدها نفتح لك ملف في المستشفى النفسي ونتابع حالتك الصحية يذهب ويتركك في صراع نفسى وغضب، وبعد قليل تأتيك الممرضة وهى تحمل معها أدوية من الطبيب النفسي وإذا رفضت تناولها فهذا يدل بأن حالتك صعبه، في نظرهم وتحتاج لمزيد من الجلسات النفسية وبعد ثلاثة أيام تؤخذ إلى المستشفى النفسى وترقد على سرير ويكون بجوارك الطبيب النفسي ومعه ملفك ويسألك ويسجل الإجابات: يسألك مثلًا هل تأكل جيدًا؟ هل تنام جيدا؟ هل تريد أن تؤذى نفسك؟ هل ترى احلامًا مفزعة؟ هل تحب نفسك؟ هل تحب جيرانك؟ هل تريد أن تقتل أحد؟ ويطلب منك أن تخبره بالمشاكل التي تواجهك حتى يساعدك ويقول: سوف أكتب لك علاجات ومهدئات حتى تشفى، تقول له: أنا لست مريضًا، يقول لك ببرود: سوف يتم مراقبتك للتأكد من ذلك عليك فقط تناول العلاج والمهدئات، بعدها تعود إلى العنبر وكل يومين ياتى إليك أطباء نفسيون، وأنت الآن مجنون رسمى في ملفاتهم ولابد من المتابعة ويصرف لك أنواع مختلفة من المخدرات والمهدئات بكميات كبيرة وفي نفس الوقت يتم تجريب مفعول هذه المهدئات ومدى تأثيرها الداخلي والخارجي حتى يقرر إنزالها في السوق، وهذا هو الأسلوب الذى كان متبعًا في العيادة الطبية حيث يصرف للمريض أدوية جديدة لشركات جديدة بعد أن جربت على هولاء الأسرى أنهم كانوا (حقول تجارب).

كان هذا الأسلوب المتبع من قبل العيادة النفسية المرجعية، كان لكل أسير ملف في العيادة النفسية يضعون عليه لمساتهم وحالتهم التي يرونها وإذا حصل شئ للأسير يخرجون ملفه ويقال بأنه كان يعالج من حالات نفسية ويذكرون عدد الجلسات، وكذلك من الأشياء التي يستفيدون منها تلك الأدوية التي تصرف المخدرات وأدوية للتجارة لصالح شركات الأدوية وكذلك تشخيص شريحة من

المجاهدين للوصول لنتيجة مفادها كيف يفكر؟ وفي ماذا يفكر؟ وماذا يتمنى؟ كيف يقاد؟.

هذه هى العيادة النفسية استعملت كأداة في تعذيب الأسرى نفسيًا وهى واحدة من مئات الأساليب التي استخدمت ولا أنسى السحر الذي استخدمه المحققون كان علاجه يتم عن طريق العيادة النفسية وهي بدورها تصرف كميات كبيرة من المخدرات حتي يدمن المريض ولا يستطيع الاستغناء عنها، ومع المحقق كان هذا يحدث لقليل من المرضى وغالبية المرضى كانوا يتخلصون من هذه العقاقير برميها في دورة المياه، وإذا اكتشف الممرض بأن الاسرى يلقون العقاقير، يأمرهم بفتح الفم وتحريك اللسان حتى يرى الدواء قد وصل فمك أم لا، رغم هذا كان يتخلصون لعلمهم بأنها مخدرات، وإن لم تكن كذلك فهى مضره للجسم لسبب واحد وهو عدم حب الخير لنا.

❑ نبذة عن إدارة المعسكر والجنود:

معسكر غوانتنامو كان تحت إدارة ثلاث جهات إدارة التحقيق إدارة المعسكر، ويتمثل في الضباط والجنود، إدارة العيادة الطبية والنفسية، ولكل واحد صلاحيات في عمله ولكن دخولهم وخروجهم جميعًا من قبل إدارة المعسكر.

أما من ناحية إداراتهم فالانسان لابد أن يعدل في القول والعمل وأنا لا أريد أن أهضم بحق هؤلاء في كل شيء، فهم حقيقة من ناحية الإدارة والتنسيق والتنظيم خاصة في توزيع وترتيب الجنود، لا يوجد مثلهم، ولكن رغم ذلك كان بعض الضباط والجنود يقعون في أخطاء قاتله. الجنود الأمريكان ٦٠٪ منهم ليسوا من أصل أمريكي والبقية منهم ضباط أمريكان صغار في الرتب العسكرية وضباط كبار من ذوي الرتب العسكرية وتحت إدارتهم القواعد والمعسكرات. ومنذ دخولي إلى

غوانتامو إلى أن خرجت مرّ عليّ جميع وحدات الجيش الأمريكي من بحرية وطيران والنقل والإصلاح والمارينز والمشاة، تمكث كل وحدة ستة أشهر، تنتقل إلى قاعدة آخرى أفغانستان أو العراق الكويت أو قطر أو كوريا الجنوبية.. إلخ، وتأتى وحدة أخرى وبكثرة احتكاكنا بالجنود من جميع وحدات الجيش الأمريكي خرجنا بالنتائج التالية:-

* كثير منهم لا يعلمون أسماء آبائهم وإذا سألتهم أين أمك يقول لك: تربيت في الملجأ.

* بعض منهم عبدة الشياطين.

* بعض منهم شواذ جنسيًا.

* والذي يفعلون عمل قوم لوط حدث ولا حرج.

* أغلب المجندات ليس لهن أزواج.

* أغلب الجنود ليس لهم زوجات وإذا سألت لماذا لم تتزوج يرد عليك قائلًا: لماذا أتزوج وحولى الحسناوات وأقضي حاجتي هنا وهناك إن كانوا فتيانًا أو فتياتًا، وإذا سألته في أى شئ تصرف راتبك يقول: للملجأ لأنى لم أسدد ما عليّ وتدريت عندهم، هذه الإجابات ليس لواحد أو أثنين بل اغلبهم.

* وفيهم الجنس الثالث بكثرة أي المخنثين.

* كثير من الجيوش تقاتل من أجل مبادئ وجيوشهم موحدة من جنس واحد، أما هؤلاء، فليس لهم عقيدة ولا وطنية ولا مبادئ يقاتلون من أجلها وكما ذكرت أن ٦٠٪ من جنودهم ليسوا أمريكان فقد وجدت جميع الأجناس الهندي، البرازيلي، الكوبي، المكسيكي، الأيرلندي، الإيطالي، النيجري، السنغالي، جميع دول إفريقيا بما فيهم السودان ومصر وجدتهم بالذي الرسمي ولكن ذوي رتب

عاليا فهولاء يقاتلون ليس حبًا في أمريكا إنما حبًا للدولار، فولائهم فقط للدولار، أما أمريكا فلتذهب إلى الجحيم، والأمريكان يعلمون ذلك جيدًا، لهذا تجد القوات الأمريكية إذا دخلت حربًا لا تستخدم قوات المشاة بل الطائرات والصواريخ ودائمًا تجدهم متحصنين في قواعدهم ولا يخرجون منها إلا في طائرة أو بارجة حربية أو دبابة، والعالم يظن بأنهم أهل بأس وشجاعة ولكن الأمر خلاف ذلك فهم أجبن خلق الله وصدق فيهم قول الله تعالي: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[١] ودائمًا يظهرون قوتهم الزائفة في أفلامهم الخيالية لخداع عقول الأمة الإسلامية والعربية بأنهم ذوي بأس وشده في القتال والعكس صحيح فقد جاء رئيسهم (بوش) بحماقة وكشف المستور ويظن ما حدث في أفغانستان والعراق وبعض الدول عن طريق جيش المشاة، كلا والله فهؤلاء لا يخرجون من جحورهم إلا بعد أن تدمر الطائرات والصواريخ وتهدم المساكن وتقتل الأبرياء من النساء والاطفال وتخلو المدن تمامًا من أي مقاومة، بعد ذلك يخرجون على ظهور مدرعاتهم، ويستعرضون عضلاتهم، ويتم تصويرهم علي هذا الحال وهم يتبخترون في المدينة حاملين أسلحتهم ليبرهنوا للعالمين على أنهم قاتلوا بشراسة وثبات، هل تصدق أيها القارئ فرقة الشغب المكونة من ستة أشخاص عند دخولهم على الأسير في زنزانته بعضًا منهم يستخدم (الحفاظات) يلبسها تحت سرواله خوفًا من تسرب البول كل هذا من شدة الخوف، وقد أكد لي هذا أكثر من جندي وبعض المترجمين فكيف لهؤلاء أن يثبتوا في ساحات الوغى والشدائد وعلى الأمة الإسلامية ألا يغتر بهم فهم كما وصفت لك أمة خاوية من المبادئ والقيم اجتمعت فيهم جميع أفعال

---

(١) سورة الحشر الآية (١٤).

الأمم السابقة التي اهلكها الله، والخوف والرعب لايفارقهم، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾(١).

❑ المعسكرات:

معسكر () (x-ray والمعسكر الأول) و (المعسكر الثاني) و(المعسكر الثالث) و(المعسكر الرابع) و(المعسكر الخامس) و(المعسكر السادس).

يعتبر » x-ray أول معسكر أنشيء في غوانتنامو كنت من أوائل الأسرى الذين دخلوا فيه، وجدنا زنازين قديمة قابعة بين تلال خضراء إما أنشأها الأسبان، وإما أنشأها الأمريكان في حربهم ضد كوبا. وقد صممت الزنازين التي نزلنا فيها طبق الأصل لتلك القديمة، في خلال شهر ونصف اكتمل المعسكر، وكان بها خمسة عنابر كل عنبر يحتوي على ستين زنزانة ولكل عنبر له اسم ويشار عليه بالحرف الأول من الاسم، أنشئ المعسكر في أرض منخفضة وفي منطقة شبه غابية كثيرة الأمطار والمستنقعات لا يمر يوم إلا وتجد الحيات السامة تدخل الزنازين وكذا الحشرات بأنواعها، وبعد أربعة أشهر ونسبة لتزايد الأسرى وكثرة الهوام بدأوا في إنشاء معسكرات أخرى كبيرة تبعد عن معسكر x-ray خمسة كيلومترات تقريبًا وكلها عبارة عن حاويات ضخمة مرتفعة عن الأرض بقواعد خرسانية ضخمة وقد قسمت هذه الحاويات من الداخل إلى عدة زنازين، وكل عنبر يحتوى علي ثمانية وأربعين زنزانة وأربعة زنازين للاستحمام وزنازين كبيرة للرياضة وسميت هذه المعسكرات بالمعسكر الأول والثانى والثالث.

المعسكر الأول:

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم (١٥١).

به ثمانية عنابر وعنبر خاص للحبس الإنفرادى سمي INDIA (الهند) وأسماء الثمانية هي ALFA) - الفا «برافو- BRAVO) (شارلى- SHARLY» دلتا - DLTA» أيكو ECOO-) (فاكسترا - FACSTRA) (قولف - GOLF HOTEL) (هوتيل -HOTAL).

المعسكر الثاني:

وبه عنبران للإنفراديات وهي (أوسكار OSCAR- «نوفمير - NOVEMBER) والعنابر هى (مايك - (MIC وليما - (LEMA و(كيلو- KELO) ويحتوى كل عنبر على ثمانية وأربعين زنزانة كما ذكرت لك ما عدا الإنفراديات، منها التي يحتوي على أربعة وعشرين زنزانة والآخر على ستة وثلاثين زنزانة.

المعسكر الثالث:

كان به عنبران ليس كالإنفراديات ولا العادية محجوبة عن الرؤية تستعمل لأسرى معينين وبها خمسة، عنابر هى عنبر (تانكو -TANGO) و (سيارة - SEARA) و عنبر (روميو ROMU-) و(بابا- PAPA (و(كيوباك - (QUBAKE وكل هذه العنابر تحتوى علي ساحات صغيرة للرياضة وحمامات للغسيل، في خلال هذه السنوات وبسبب عوامل التعرية تهالكت العنابر وكساها الصدأ وكانوا يشرعون في ترميمها وصيانتها كل عام أو عامين ومن المؤسف أن تكاليف الترميم والصيانة كانت تتم على حساب دول عربية ودول إسلامية فقد وجدنا بعض الحديد الذى ينشأ بها العنابر وكذلك مواسير الصرف الصحي عليها شعار دول عربية وإسلامية واسم المصنع الذى صنع فيه لم نستعجب من ذلك لأن العالم انقسم إلى ثلاثة أقسام بعد حادثة سبتمبر ٢٠٠٢م، قسم وقف مع الذين رغمت أنوفهم في التراب وقسم في موقف الحياد وقسم وقف ضدهم وأيد تلك الضربة.

المعسكر الرابع :

بعد سنتين تقريبًا بدأوا في إنشاء المعسكر الرابع وهو يختلف عن بقية المعسكرات خصص فقط للمتعاونين في التحقيق ومكانًا لاستدراج أخرين من الأسرى من أجل التعاون وهو السجن الجماعي الوحيد في غوانتنامو به خمسة عنابر عنبر زولو، وسكي، فكتور-يانكى، يونى فورم، كل عنبر بها أربعة غرف وكل غرفة بها عشرة أفراد وحمام واحد والعنابر كلها مفصولة عن بعضها بأسلاك شائكة ويتم فتح وقفل الأبواب فيها اليًا من على البعد من غرف الكنترول وهي عبارة عن برج ضخم محاط بأسلاك وسط الساحة الرياضية المخصصة للأسرى إذا أرادوا أن يأخذوا أحد الأسرى إلى التحقيق أو العيادة أو المحامي يجب أن يدخل الجميع إلى غرفهم ويوصد عليهم الباب الفولاذى ويقيد الأسير.

هذا المعسكر ضلل به كثير من المنظمات الدولية وانخدع فيه الإعلام، خاصة رجال الصحافة الذين كانوا يأتون زائرين ويصورون بعض الأسرى باللباس الأبيض وهم في جماعات يتحدثون ومن يراهم يظن انهم في راحة وسعادة والأمر في الحقيقة ليس كذلك، فهم فقط في حالة استراحة من التعذيب النفسى حتى يعودوا إلى اخوانهم في العنابر الخلفية إذا لم يتعاونوا مع المحققين. المعسكر الرابع ليس سوى مصيدة للحصول علي المعلومات بهذه الطريقة أي بتوفير وسائل الراحة مثل الزنزانة الواسعة وتوفير الطعام والمكوث في شكل جماعات في زنزانة واحدة والخروج لممارسة الرياضة بأنواعها وتغير ملابسهم من اللون البرتقالى «لون الخطر» إلى اللون الأبيض وتصرف الأوامر للجنود بألا يؤذوا أحدًا ولا يستفزوهم بل أن يقابلوهم بالابتسامات المصطنعة. وعدم شد القيد والخشونة في المعاملة وتوفر الأدوية الطبية والسجادات والسبح (كانت تستخدم لتكرار الآيات القرانية)، هذه الوسائل الترفيهية التي يزعمون أنها من وسائل الراحة المعهودة موجودة في

أدنى سجن في العالم، وضعوا هؤلاء في الواجهه لتضليل الرأى العالمي واقناع الصحافة وجميع وسائل الإعلام الأخرى بانهم مثاليون في التعامل مع هؤلاء ولكن هؤلاء الزائرون لا يدرون بأن هناك أسرى قابعون داخل أقفاص جنوب هذا المعسكر يذوقون صنوفًا من العذاب وألوانًا من الأذى وتفتح عليهم أبواب العذاب كل يوم بعيدًا عن أعين الرقباء من منظمات حقوق الإنسان وغيرها. بعد أن يدخل الأسير في المعسكر الرابع ويتنفس الصعداء ويرى أشياء لم يرها منذ سنوات، من زنزانة واسعة ويخالط أخا لم يره منذ زمن بعيد ويحضن كل واحد أخاه القادم من العنابر ويضمه إلى صدره في شوق وفرحة، وهو لم يكن قد لمس جسم بشر منذ سنوات غير تلك الأيادي القذرة التي تقيده للتعذيب، يحضن الأسير أخاه ويعانقه وعيونه تذرف الدموع ويثير هذا المشهد باقي الأسرى فيشاركونه هذه العاطفة الجياشة ثم يسرد لهم القصص التي حصلت له في معسكره وأخبار إخوانه هناك.

في هذه اللحظات تعيش في مشهد معبر للأخوه الإسلامية والمحبة الصادقة، ترى بقية الأسرى في العنابر المفصولة بالأسلاك الشائكة يلوحون بأيديهم ومنهم من يلوح بالمناشف ومنهم من يلوح بالقميص ابتهاجًا لقدوم أخيه في مشهد أشبه بجماهير واقفين في مدرجات الملعب ورافيعن أيديهم بفرحة الهدف الذي أحرز، يتم هذا كله وسط اندهاش الجنود الإمريكان، والجنود يسألون بعضهم: من يكون هذا؟ لابد أنه قائد كبير في صفوفهم، وإما والده من الأثرياء ويحسبونها على حسب الماديات التي يعيشونها، في النهاية يتفاجأون بأنه شخص عادى جدًا ومنظره وبدنه النحيل يوحى بأنه من أفقر الفقراء، ولكن ما سر هذا الاستقبال الحافل وهذه الفرحة والمحبة الغامرة؟ أقول: بأنه لا يحس بهذا السر لأنه بعيد عن الإسلام وأنه سوف لن يصل إلى هذ السر إلا بعد أن يتذوق طعم الإيمان وصدق الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى الحبيب المصطفى حين قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**».

كذلك قوله ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**»[1].

بعد أن يمكث الأسير أيامًا قليلة ويشعر بالمفارقات التي هنا وهناك من حيث المعاملة ويتذوق أنواع الفاكهة ويجد أصدقاءه القدامى، ويجد الفراش الوثير ويشعر بالراحة بعد أن ذاق فراش الحديد والتعب النفسي والجسدي يأتي إليه الجنود حاملين السلاسل لأخذه إلى غرفة التحقيق وهناك يزاح التراب عن المصيده ويقوم المحققون بتهديده بأن يعترف بكل شئ حتى وأن لم يفعل شيئًا كأن يعترف بأنه من أعضاء تنظيم القاعدة وإلا فالعودة إلى تلك الأقفاص الرهيبة، هنا يدخل الأسير في صراع نفسى فهو لم يفعل شيئًا ولا ينتمي لأي حزب فيختار العودة إلى تلك الأماكن التي لا يطيقها بشر، هكذا استخدم هذا المعسكر للاستدراج وانتزاع المعلومات بهذه الطريقة الماكرة الدنيئة هكذا انخدع رجال الإعلام الذى حضروا وشاهدوا المعسكر الرابع وراوا النزلاء بثياب بيض وهم في شكل جماعات، والعجيب أن إدارة المعسكر كانت تدخلهم في غرف مثل غرف الأسرى ويريهم أشياء غير موجودة في غرف الأسرى من وسائل الراحة وما شابه ذلك حتى ينقلها الإعلام للرأي العالمي في الخارج لتحسين صورتهم في نظر العالم، كانوا لا يسمحون للإعلام مقابلة أي أسير مهما كان وهو من المستحيلات وهؤلاء الزائرون لا يعلمون بأن الأسير لا يمكث إلا شهرًا ويعاد مرة أخرى إلى تلك الأقفاص.

المعسكر الخامس:

أُنشئ هذا المعسكر خصيصًا للعقوبات الفردية والجماعية به غرف صغيرة جميعها إنفراديات أبوابها من الفولاذ وغرف أخرى مثلها للتحقيق، هنا تتم

(١) صحيح البخاري.

الممارسات القذرة من استفزازات وتدنيس كتاب الله ويتمركز خارجها قوات الشغب على أهبه الاستعداد في انتظار الأوامر للدخول على الأسير لكسر اضلاعه إذا خالف القوانيين التافهة، ومن خبث الإدارة صمموا ساحات للرياضة بطريقة لا ينفذ اليها ضوء الشمس ومساحتها أربعة أمتار في متر ونصف وكذلك الزنازين لا يدخلها ضوء الشمس شمسك هو الإضاءه الجاهرة التي لا تطفأ، الذي يدخل هذا المعسكر لايخرج منه بسهولة فأن خرج فقد كتب له عمر جديد، يعتبر هذا المعسكر من أشد المعسكرات معاناةً لاسباب كثيرة. أولًا: فالأسير رغم ما كان يجده من معاملة قاسية في الأقفاص الضيقة في المعسكرات الأخرى إلا أنه كان يجد منافذ يدخل منها ضوء الشمس والهواء ويرى بقية الأسرى ويتحدث معهم وأشعة الشمس تطغى على الأضاءة في العنابر الإنفرادية في المعسكر الأول والثاني والثالث وتمكث فيه أسبوعًا أو شهرًا أو شهرين إلى ستة شهور، أما المعسكر الخامس لابد أن تمكث فيه سنينا، ومنذ دخولي غوانتناموا وحتى خروجى منه لم أر مثل هذا المعسكر تعذيبًا وانتهاكًا للأعراض، وإدارته منفصلة عن بقية المعسكرات الأخرى.

المعسكر السادس (معسكر أهل اليمن):

لم تتوقف وزارة الدفاع الأمريكية من إنشاء السجون داخل معتقل غوانتنامو في خلال سبعة الأعوام التي مكثت فيها، كان العمل مستمرًا في بناء السجون، ليس من أجل التوسعة وراحة الأسرى كما يظن البعض بل للتضيق وتفادى الأخطاء التي حدثت في المعسكرات الأولى فهم لايقعون في خطأ وإلا يستفيدوا منه والإسراع في أصلاحه كان هذا من الأسباب الرئيسية التي جعلت هذه الأمة في تقدم وتطور.

كنا نشاهد ونحن داخل الأقفاص على البعد رافعات ضخمة تعمل والعمال منهمكون في العمل بجد وحماس كنا نرى الكتل الخرسانية ترتفع وتتحرك فوق

بعضها البعض، بعد مضى شهور تشكلت أمامنا قلعة ضخمة تقف شاهقة وسط التلال الخضراء ترفرف فوق ساريتها علم الولايات المتحدة الأمريكية، يعتبر هذا المعسكر آخر سجن أنشئ وتواترت إلينا الأخبار بأنهم بصدد إنشاء المعسكر السابع لتفادى أخطاء السجن السادس الجديد.

بعد أن أكتمل تمامًا استلم الجنود مواقعهم بدأوا في نقلنا إليه وجدناه قلعة ضخمة أبوابها تفتح وتغلق بواسطة الكهرباء وهى ثمانية الشكل بها ثمانية عنابر والعنبر عبارة عن شكل مثلث به طابق علوي، وأبواب غرف الأسرى من زجاج شفاف قوي لا يمكن تحطيمه تفتح وتغلق بالكهرباء أيضًا، فيما بعد ساوضح لك سبب وضع الزجاج الشفاف القوى وجعله على الأبواب داخل غرف هذه القلعه التي مساحتها متران في ثلاثة أمتار، سرائر من حديد مثبتة على الأرض وجدارها من حديد تحتوى على مغسلة ومرحاض ومرآه مصنوعة من النيكل مثبتة على الجدار وطاولة ومقعد من حديد مثبتان وثقوب كثيرة منتظمة على اليمين واليسار أعلى الغرفة، أحدى الثقوب للتكييف المركزي الذى لا يتوقف أبدًا، والثقوب الأخرى للشفط، وفي أعلى السقف ستة مصابيح اسطوانية طويلة للإنارة تكون هذه المصابيح ساطعة فوق رأسك طوال الوقت.

وتصميم هذا المعسكر بهذا الشكل يدل بأنهم يريدون تضييق الخناق أكثر على الأسرى، في المعسكرات السابقة كانت لنا بعض الحيل للتواصل مع الإخوة المجاورين لتلقي الأخبار وكنا نتنسم رغم صغر زنازينها الهواء ونرى الأشجار والطيور، أما هذا المعسكر صرنا فيه مثل القطعة الأثرية داخل غرف الزجاج بالمتحف لا يوجد حولك سوى الجدار الحديدي وأمامك باب الزجاج، بعد كل نصف دقيقة يمر من أمامك الحارس وينظر ماذا تفعل؟ لا تستطيع التحدث مع أهل العنبر المجاور فأنت محاط بكتل خرسانية تمنعك رؤية ومحادثة جارك إلا من

الفراغ الذي تحت الباب، كنا نرقد بالقرب من الباب لأنه المنفذ الوحيد الذى يدخل منه الهواء ونتحدث مع بعضنا من خلاله، ونقرأ القرآن مع الاخ المجاور وننشد الاناشيد الحماسية، في بادئ الأمر منعنا من الكلام، ولكن بفضل الله استطعنا كسر هذا الحاجز وكثير من الحواجز الأخرى، في هذا العنبر كانوا يستخدمون أساليب ماكره وخبيثه إمعانًا في قهرنا نفسيًا وجسديًا ووضعوا في كل زنزانة مرآه كبيرة أعلى المغسلة لينظر الأسير فيها نفسه كل وقت وفي أي وضع قائمًا كان أو راقدًا بمعنى أن كل حركة يفعلها تنعكس في المرآة ويمكث سنينًا في هذه الإنفراديات ليس معه أحد ولا يتحدث إلا مع خياله ويرى يومًا بعد يوم يزحف الشيب على رأسه ولحيته ويجعله يفكر ويقول في نفسه سائلًا متى يحين الخروج؟ هل سأظل هنا هكذا والأيام تمضى بى؟ ويعيش في صراع نفسي رهيب من جراء هذا الوضع المذري، ولكن بفضل الله تمكنا من التغلب علي مكرهم بأن لم ندع للشيطان والتفكير مجالًا للتسلل إلى عقولنا وذلك بقراءة القرآن الكريم ومدارسته وهو كان خير مؤانس لنا فقد كنا بين فكي عدوين العزلة وأساليب الأمريكان الخبيثة التي تتمثل في تشغيل أجهزة التبريد إلى درجة عالية لمدة طويلة وسحب الأغراض الخاصة بك حتى لا تذوق طعم النوم ناهيك عن لمس الحديد وما به من بروده وبالتالي تنتفخ أرجلك كأنك في ثلاجة، علاوه على الإضاءة القوية المسلطة عليك فهي شمسك، فلا تمر أيام قليلة إلا ويصاب الأسير بمرض الروماتيزم والإلتهابات الصدرية.

كان يطلقون على هذا المعسكر معسكر أهل اليمن والسبب في ذلك أن أحد الإخوة من أهل اليمن عندما أكتمل بناء هذا المعكسر رأى في منامه أن علم اليمن ملتصق في جداره فاؤلت الرؤية بأن هذا المعسكر سيكون مكانًا لليمنيين يمكثون فيه إلى ماشاء الله، فكان كذلك فالآن أكثر الجنسيات في هذا المعسكر هم أهل

اليمن، نسأل الله أن يثبتهم ويفك أسرهم ويرفع درجاتهم. هذا باختصار شديد نبذة عن المعسكرات الموجودة في جزيرة غوانتنامو وتركت التفاصيل الدقيقة عن الممارسات والأساليب الوحشية التي كانت تستخدم لوجة نظر خاصة بي تحتمل الخطأ والصواب، فوجدت من المصلحة عدم ذكر كل شئ لعدة أسباب منها لن أستطيع أن أوصف لك كل الأساليب وأعطيها حقها فهم قد سبقوا الشيطان في التفكير حتى عجز عن الوسوسه لهم.

❑ المحامون هم الورقة الأخيرة للأمريكان:

استعملت الولايات المتحدة الأمريكية جميع أوراقها في الحرب ضد المسلمين باسم الإرهاب والمسميات الواهية باستخدام القوة وإرهاب العالم الإسلامي، بما يملكون من إمكانيات وأحسبها ستزول عما قريب بإذن الله تعالى. استخدموا في معتقل غوانتنامو جميع أساليب التعذيب النفسي والجسدي على الأسرى لانتزاع المعلومات والخيوط التي تؤدي إلى الوصول للرجال البواسل الذين نفذوا الهجوم في برجي التجارة العالمية في الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م باءت كل محاولتهم للعثور على قيادات تنظيم القاعدة بكل ما يملكون من وسائل تقنية حديثة ولما أعياهم ذلك شرعوا في جمع المعلومات من الأسرى لعلهم يجدون خيوطًا توصلهم إلى أولئك النفر ولكنهم لم يجدوا ما كانوا يبحثون عنه من معلومات، فكروا في الإتصال بجواسيسهم في البلدان العربية وغيرها لكي يتلقوا المعلومات عن هؤلاء الاسرى ولم يجدوا سوى القليل من البيانات العادية بعدها اتجهوا إلى فتح أبواب المعتقل للوفود الحكومية لكي يتصلوا برعاياهم ويتحصلوا منهم المزيد، وتفاجئوا بأن الوفود لم تذودهم بشيء من المعلومات الاستخبارتية الكافية وهذا أن دل إنما يدل أن هؤلاء الأسرى ليسوا مجرمين وليس لهم انتماءات سياسية أو حزبية بل هم مواطنون صالحون في أوطانهم. مع كل هذا لم يصدقوا براءه هؤلاء الأسرى

وفكروا أفكارًا شيطانية خبيثة ولجأوا إلى طريقة ذكية لجلب المعلومات الدقيقة ليس من الحكومات ولا من الاستخبارات بل من أسرة الأسير عن طريق المحامين فالأب والأم إذا جاءهم شخص وقال أنا محامى أبنكم وسأتولى قضيته لإطلاق سراحه من المعتقل يجد منهم الحماس والمعلومات الصغيرة والكبيرة عن ابنهم وهم يعطونه هذه المعلومات بحسن نية وطيب خاطر دون أي تحفظ وذلك من اجل أن يسعى في إطلاق سراح ابنهم، استغل المحامون هذا الأمر وأخذوا يسألون عن أبنهم وأصدقاءه المقربين والدول التي سافر إليها وما إلى ذلك من الأسئلة الدقيقة ليتحصلوا في النهاية إلى معلومات من هؤلاء البسطاء، يبدأ الاتصال بالأسير بأن يأتيه ظرف مختوم عليه عنوان وبيانات المحامى مضمونها، أنا محاميك الخاص وأنا موكل من قبل المحكمة للدفاع عنك وموعد لقائى بك بعد كذا يوم وحضورك ضرورى جدًا لكي أوضح لك بعض المسائل المهمة ومناقشة التهم التي وجهت إليك، كثير من الإخوة كانوا يرفضون مقابلتهم لعلمهم بهذه الخدعة، وتتوالى عليهم الرسائل بضرورة المقابلة، كان بعض الأسرى يذهب لمقابلة المحامى ليعرف ماذا يريد؟ ومنهم من كان يذهب ليحسم هذا العمل الدنيء، ومنهم الذى لا يستلم الرسائل ويرفض بشدة عدم مقابلته لأنه يراه أسلوبًا آخر من أساليب انتزاع المعلومات أو أسلوب من أساليب التحقيق الجديدة ومنهم المقتنع بأنه محامى، أنا شخصيًا لم أقتنع بهم ولم اثق فيهم أبدًا وحتى لا أظلم احدًا كنت احتمل الصدق بنسبة ١٥% وزادنى الشك انهم متواطؤن مع الأمريكان، وذلك عندما ذهب أحد الأسرى لمقابلة المحامي ومكث معه فترة طويلة بعدها سأله الأسير قائلًا : ألم تقل لي في المرة السابقة بأنك سوف تسافر إلى بلدي لمقابلة أسرتى؟ قال المحامى : لم أسافر إلى بلدك ولكن قريبًا سوف أسافر وأقابلهم وأحضر لك رسائل وصور وأنقل لهم اخبارك وعندما حان وقت الانصراف قام المحامى فسقطت منه تحت الطاولة

بين أرجل الأسير صورة من وسط الأوراق رفع الأسير الصورة ودقق النظر وكانت المفاجأة والصدمة أن صاحب الصورة هو شقيقه. قال له الأسير: ألم تقل لي بأنك لم تسافر إلى بلدي ولم تقابل أسرتي، أذن من أين تحصلت على هذه الصورة؟ لم يستطع المحامى الرد وصار يتكلم كلامًا غير مفهوم وقال: أن الإدارة الإمريكية منعتنى أن أعطيك الصورة، فهم الأسير أن هذا المحامى ما هو إلا عميل للمخابرات الأمريكية ومتعاون مع إدارة المعتقل رجع إلى العنبر وحكى قصته للأسرى، كانت هذه الحادثه مصدر قلق للمتمسكين بمحاميهم. كنت من ضمن الرافضين بشدة مقابلة الماحمين، ولكن الأخ سامي الحاج مصور قناه الجزيرة لحب الخير لي ولطيبة قلبه أراد مساعدتي بان قدم لى طلبًا باسمه ووكل محاميًا لي بغير علمي وبعد سنه تقريبًا من تقديم الطلب جاءت إلى محامية تعمل بالحقوق الدستورية في نيويورك تدعى (جيتنا جاليا جتا ريز) قالت: أنها ليست المحامية التي سوف تدافع عني ولكن يوجد محامي آخر يدعى (توماس ديركن Tomas.Durkin) أخبرتنى بأن توماس داركن هذا هو من سيتولى الدفاع عني وقريبًا سوف يسافر إلى السودان هو ومحامى آخر يدعى كلايف سميث وهو محامى الأخ سامي الحاج وذلك لمقابلة الحكومة السودانية للتفاكر معها بشأن الأسرى السودانيين ومن ثم مقابلة أقارب الأسرى أن وجد إذن بذلك مني، وافقت على مضض لشيء في نفسى وأرسلت رسالة شفوية عن طريقه إلى الحكومة السودانية على لساني ولسان سامي الحاج باتفاق كان بينى وبينه ومضمونها أن يخبرا الحكومة السودانية عدم المساومة مع الحكومة الأمريكية بشأن الإفراج عنا.

حتى وأن دعا ذلك إلى مكوثنا عشرون سنة آخرى في السجن، فقد عشنا معهم فترة سبعة أعوام وعرفنا مكرهم وخبثهم وهم يعرفون كيف يلعبون لصالح ورقهم. سجلت المحامية كل الذي قلته للحكومة وللأسرى لكي توصلها إلى المحامي

توماس داركن الذى لم أره إلى هذه اللحظة، بعد شهر ونصف جاءتني رسالة من أهلي فحواها أن محاميك ومحامى سامي الحاج قد حضرا إلى المنزل ومكثا قرابة الأربع عشرة ساعة، أرسلنا معهما صور ورسائل، فرحت بأنني سوف أرى والديّ وإخوتى الذين لم أراهم منذ أحد عشرة سنة انتظرت المحامى لمدة شهر وشهرين لم يات إليّ. ولم يرسل رسالة حينها أرسلت رسالة خطية.

وهذا نص الرسالة:

الأستاذه جيتنا جاليا جتا ريز:

سوف أدخل في الموضوع مباشرة وأتكلم بصراحة بدون مجاملات أخبرتك من قبل في أول جلسة لنا بأني لا اعترف ولا أقتنع بأي شخص يقول بأنه محامي في كوبا، وخاصة في هذا المعسكر غير القانوني وبعد أن أستغل الأمريكان المحامين لأغراضهم الخاصة في جلب المعلومات من أقارب الأسرى فاذا كنت محامية بصدق فأنت ضحية لعبة كبيرة ولا ذنب لي في طريقة أسلوبي في هذه الرسالة ووضعت نفسك في موضع شبه وشكوك من الغير ومن يضع نفسه في موضع شبه فلا يلومن إلا نفسه وأقول هذا الكلام إذا كنت محامية حقيقتةً وجئت للدفاع عنا في هذه المقبرة، أما إذا لم تكوني محامية سوف أخبرك لماذا جلست معك أولا؟ وجدت فرصة حتي يعلم هؤلاء الأمريكان حقيقتي ومن أكون فهم لا يثقون في أحد ولا يصدقون أحدًا ولو قال ما قال من الحقيقة حتي يثبتوا من الحقيقة بأنفسهم، لذلك حين دخلت هذا المعتقل أخذت مني جميع المعلومات عن حياتي ولكن لعدم تصديقهم حاولوا أخذ معلومات أخرى إضافية عن طريق الوفد الحكومي وأنا متأكد وواثق جدًا بأن الوفد الحكومي لم يضف شيئًا جديدًا ومع ذلك لم يصدقوا أحدًا، واخيرًا لجاؤا إلى حيله أخرى لآخذ المعلومات الخاصة جدًا من الأقارب عن طريق المحاميين وكما هو معلوم إن الأقارب دائمًا يعيشون في لهفة وشوق شديدين

تجاه أبنائهم وترقب أي أخبار عنهم وإذا جاءهم أحد وقال أنا محامي ابنكم سوف يجد التجاوب منهم لإطلاق سراح ابنهم ولعدم فهمهم لما يجري من لعبة سياسية واستغلال المحامين في مسائل غير مشروعة وتوريط السجناء، على العموم حين تأكدت بأن المحامين ليس لهم عمل غير ذلك والبحث عن الشهرة فقط وليس هدفهم إخراج المعتقلين كما يعتقد من الأهالي سمحت لكم بمقابلة أسرتي حتى تتحققوا معهم وتسالوا عني وتأخذوا معلومات حتى يرضى من يرضى ويصدق من يصدق بأني ليس لي إلا نفسى وأن حياتى في بلدي حياة طبيعية حتى في مقر عملي في بلاد الحرمين إنما بدات حياتى تتغير هنا في هذه المقبرة. فوجدت أن ذهابكم إلى بلدي ومقابلة أهلي هي الورقة الأخيرة حتى تصدقوا ما قلت لكم عن نفسي ولذلك جلست معكم الجلسة الأولى وكان هذا هو هدفي من ذلك، ثانيًا: حصل منكم أخطاء كثيرة جعلتنى أصل إلى هذه النتيجة ولن أخبركم بهذه الأخطاء حتى لا تصلحوها وتستمروا عليها حتى ينتبه غيري ويعرف الحقيقة. ثالثًا: هذا هو الأهم وخلاصة كلامي لا تطلبوا زيارتي نهائيًا ولا ترسلوا لي رسائل ولا تذهبوا لزيارة أقاربي أبدًا لأن مهمتكم قد انتهت وقد أرسلت لأهلي رسالة شفوية محذرًا لهم بعدم مقابلة أي شخص يقول أنا محامي أبنكم، لقد أصبح لدينا عقد نفسية من هؤلاء المحاميين، والمعلومات التي أخذتوها من الأقارب «يمكنكم اعطاؤها المحققين الأمريكان» وكوني على علم سوف يأتي اليوم الذى ينكشف فيه كل شئ وخاصة لعبة المحامين لأن بيع المعلومات وكشف الأسرار أصبح هدفًا لكثير من الناس حتى يظهر في الإعلام ويذكر اسمه في التاريخ باسم «كاشف أسرار محامى كوبا» وإن كنت محامية حقيقة تدافعي عن الأبرياء والإنسانية وحقوق الدستور أنصحك فهذا ليس مكانك وحتى لا تلطخى اسمك واسم مؤسستك في هذه اللعبة القذرة عليك أن تنمي وتطوري نفسك في مجال المحاماة في مكان غير هذا

المستنقع إن لم تسقطي فيه أصابتك منه مياه وسخة تشوه صورتك. وفي الختام أقول بأننا ضحايا لعبة سياسية قذرة ومظلومون وإن مسرحية الحياة لم تكتمل بعد ولا بدّ من مشهد ثان لأننا نرى هنا ظالمًا ومظلومًا ولم نجد الإنصاف وغالبًا ومغلوبًا ولم نجد الإنتقام فلا بد إذن من عالم آخر يتم فيه العدل بإذن الله.

وعلى الفور جاءتنى رسالة ولا أدري أين كانت تلك الرسالة ومن كتبها؟ يقول فيها: إن السفر من إيرلندا إلى غوانتنامو صعب لذلك تأخرت عليك وسوف أقابلك قريبًا حتى تعلم ما جرى من مقابلات مع الحكومة السودانية وأعطيك الصور والرسائل وأخبار الأسرة فرفضت مقابلتها وكل الرسائل التي يرسلها بخصوص حضوري ولا أدري أن كان صادقًا أم كاذبًا ومن الأسباب التي جعلتنى أشك في هؤلاء المحامين ما رواه لنا أحد الإخوه الأسرى من السويد قال: بينما نحن في معتقل قاعدة قندهار بأفغانستان إذ سمعت جنديان من الجيش الأمريكي فوق برج المراقبة يتحدثان يقول الأول سائلًا: لماذا نبقى هؤلاء الأسرى؟ لماذا لا نتخلص منهم بالقتل ونريح أنفسنا؟ رد عليه الأخر يا غبى هؤلا سوف يترحلون إلى جزيرة في المحيط الاطلسي وسيسجنون هناك ويتم اخراجهم عن طريق المحاميين كان هذا الحديث في بداية الأسر، وضعت هذا الكلام في بالي وأتساءل لماذا الخروج عن طريق المحامين؟ هل من أجل أن يثبتوا للعالم عدلهم ومراعاة حقوق الإنسان؟ أم لكي يتحصلوا عن طريق المحامين المعلومات الدقيقة؟ أم فكروا في إنشاء معتقل ضخم شبه مدينة للإرهابيين وتكون هذه المدينة متوفرة فيها. محاكم والمحامين على أن تكون مدينة بعيدة من أمريكا ولا يسري فيها القانون الأمريكي حتى لا يجد الأسرى حقوقًا حينما تنتهك أعراضهم لان الأرض ليست أمريكية تساءلت مع نفسي كثيرًا ولم أتوصل إلى إجابة. دور المحامين لم يكن فعالًا في قضايا الأسرى كما يظن البعض بل تحصلوا على منافع شخصية كثيرة تعود إليهم منها الشهرة،

بسبب هؤلاء الأسرى ومنها مقابلة رؤساء الحكومات والتعرف على الوزراء وتكوين صداقات مع رجال الأعمال على أن مكتبه ومؤسسته مفتوحه أمامهم لاستقبالهم وأي مصالح آخرى له في أمريكا ومنها المؤتمرات التي تجلب لهم الشهرة والظهور في القنوات الفضائية العربية ومنها التحريض للمظاهرات السلمية لتقديم مذكرة إلى السفارة الأمريكية بشأن الإفراج عن الأسرى وهم على علم مسبق بأن الإدارة الأمريكية لا تبالي بأحد ولن تفرج اسيرًا واحدًا قبل أن تحقق معه وتخرج آخر معلومه لديه حتى إذا بلغ مدة الأسر عشرين سنة ولو اجتمعت الدول العربية بأجمعها لإطلاق سراح الأسرى، لأنهم يرونه نوعًا من الضغط والتهديد عليهم فلا يستجيبون لكبر في نفوسهم.

❑ حقائق لا يعلمها الكثير:

عزيزي القارئ سمع كثير من الناس ورأى ما يحصل في معتقل غوانتنامو بجزيرة كوبا من تعذيب وهتك للأعراض وإذلال المسلمين نعم حصل كل هذا وأكثر ولكن هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم لم يهنوا ولم يستكينوا ولم يضعفوا أمام عبدة الشيطان رغم ما بهم من ضغوط، فقد أظهر الأسرى لهؤلاء الحثالة عزة المسلم وإيمانه وقوته وشجاعته وأخلاقيات ومبادئ الإسلام مما أذهل الأمريكان خاصة الجنود الذين بدأوا في التعرف على هذا الدين الذى جهلوه ودخل بعضهم في دين الإسلام ولكن الإدارة الامريكية أحست بذلك ورأت تغير بعض الجنود ولما كثر احتكاكهم بالأسرى أصدرت قوانين ولوائح صارمة تمنعهم من التحدث مع الأسرى إلا عن طريق الصراخ في وجههم أو إصدار أوامر لإذلاله وإلا فلا. كانت إدارة المعسكر تجمع الجنود للتحريض على الأسرى وتحضهم على مزيد من الإذلال ويخبرونهم بأنهم أعداء لهم مجرمون قتله، سفاحوا دماء ولا ينبغى معاملتهم باللين والعطف وكانوا يعرضون عليهم مشاهدًا من برجي التجارة وهما تحترقان والجثث

بين الأنقاض وعندما يرى الجندي هذا المنظر يأتي والشرر يتطاير من عينيه ويفرغ ما به من حقد، كان هذا الأسلوب الذى أتخذته الإدارة من العوائق التي واجهتنا.

الأسرى تحملوا الكثير من استفزازات الجنود ورغم ذلك كانوا يخمدون نار الغضب الذي في صدورهم إن وجدوا الفرصة المناسبة لذلك، ويترتب عليه عقوبات شديدة من جراء فعل الأسير وكانت هذه العقوبات لا يهتم بها الأسير طالما أشفى غليله وأذهب غيظه، كان الأسرى يستخدمون عدة أساليب في إذلال إدارة المعتقل والجنود معًا وكان أشد هذه الطرق وأقواها أكرمك الله (البول والغائط) ذلك السلاح الذى ازعج الأمريكان وفعلوا المستحيلات وسنوا قوانين ولوائح رادعة ليوقفوا تأثير هذا السلاح ولكن دون جدوى. إذن عرف الأسرى قوة وتأثير هذا السلاح وأصبحوا يستخدمونه في المشاكل الكبيرة والأمور العظام التي تحدث في المعسكر مثل إهانة القرآن الكريم وتجريد الاخ من ملابسه وشرعوا يستخدمونه في الأونة الاخيرة لاتفه الأسباب وكنا نطلق عليه «السلاح النووى».

وقد أدخل هذا السلاح الرعب في قلوب الزائرين من البيت الأبيض والضباط والجنود والمترجمين والمحامين وغيرهم. كان الأخ إذا أراد استخدام هذا السلاح يقوم بعده إجراءات وتحضيرات، أولًا: يحدد الهدف إن كان ضابطًا أو جنديًا أو مترجمًا كان سببًا في إثارة غضبنا، يطلب من الإخوة الدعاء ويضع «السلاح النووى» في كوب وقبل أن يصيب الهدف يكون قد وزع مالديه من أغراض لجيرانه من الأسرى لأن العقوبة عليه ستكون شديدة وسوف تسحب كل ما لديه لمدة شهر حيث سيقضى عقوبته في الغرف الإنفرادية ويعامل أسوأ معاملة في النوم على الحديد والزيادة في ارتفاع برودة جهاز التكييف وقله الطعام ورداءته.

وعندما يأتي الهدف يناديه ويتظاهر بأنه يحتاج إلى كذا وكذا والهدف أمام زنزانته يستمع إليه وبقيه الأسرى ينتظرون باهتمام وهم مشدودو الأعصاب هنا يرفع الأسير

الكوب الملئ ويفاجئ الهدف بسكب ما في الكوب علي وجهه وغالبًا ما يملأ فمه إن كان يتحدث، عندها يرتج العنبر بتكبيرات الأسرى والصياح والضحك والسخرية ولا يبالون أيًا كان الهدف (جنرال - جندى - مجنده - مترجم) يذهب وهو يتخبط لا يرى أمامه لأن عيونه قد امتلأت بالمادة ولا يستطيع أحد أن يلمسه ناهيك من الإقتراب منه وجنود العنبر يوجهوه من على البعد أن يسير يمينًا ويسارًا ويرشدوه عل هذا النحو حيث يخرج من العنبر وينقل إلى المستشفى مباشرة حتى يأخذوا عينة من هذه المادة للفحص وبعدها يذهب إلى الحمام وعلى الفور يأتى جنود من خارج العنبر حاملين السلاسل لأخذ الأسير إلى الغرف الإنفرادية، تحت تكبيرات الأسرى والدعاء له بالثبات والأناشيد الحماسية، ويخرج وهو رافعًا رأسه في عزة، بعدها يأتى الجنود بالمواد المطهرة وخراطيش الماء ويشرعون في تنظيف العنبر، وبما أن الجنود جميعًا ينامون في الثكنات فالخبر ينتشر وسطهم كانتشار النار في الهشيم ويعرف الجميع بأن هذا الهدف قد أخذ نصيبه من (النووى) ويصبح أضحوكة عندهم ويصبح حديث يوم أو يومين وبعد يومين يعود إلى العنابر ويتفق الأسرى فيما بينهم بأن يضعوا أياديهم على أنوفهم وينظرون إليه فيعيش في كآبه نفسية سيئة وأن عاد إلى الثكنات يضحكون ويسخرون منه زملاءه، ويكون بين أمرين أحلاهما مر وبعدها يتأدب ويبتعد عن الاستفزاز والتحرش بالإخوه وبعد شهر يخرج الأسير من الغرف الإنفرادية ويعود إلى العنبر ويستقبلونه بالتهليل والتكبير وأناشيد الحماسة احيانًا يرجع الأسير في نفس العنبر او عنبر آخر.

كان الجنرال ميلر ذلك اليهودى الخبيث الذي أذاق الأسرى الويل فقد أخذ نصيبه من ذلك «السلاح النووى» ومزيدًا من التفل والنخامة على وجهه وبعدها نقل إلى العراق في معتقل أبو غريب ليذيق الأسرى الويل هناك في حين أنه كان لا يستطيع أن يرفع عينيه هنا في غوانتنامو، فأخرج بقية حقده في أسرى العراق.

هذا النووي. . حقيقة أدخل الرعب في قلوبهم وقلل من استفزازاتهم فالجندي يدخل العنبر في حذر شديد والجنرال إذا جاء ياتي وهو محاط بالضباط والجنود ولا يقترب من زنزانة الأسير كثيرًا، ففي السنوات الأولى كنا نرى الكثير من الزوار من البيت الأبيض والبنتاجون والكونغرس يتجولون بين الزنازين كأنهم يتنزهون في حديقة حيوانات، ويوزعون الابتسامات الساخرة وبعد ظهور النووي. . قلت الزيارات حتى انقطعت أرجلهم عن الزيارات. كنا كثيرًا ما نسمع تكبيرات وتهليلات وأناشيد في العنبر المجاور وبعده ندرك بان أحد الضباط قد ضرب بالنووي. . لأنه أمر الجنود بإهانة كتاب الله ويكون صيدًا لأحد الأسري ويأخذ نصيبه. أما الجنود فقد عاشوا في قلق وحيرة فهو مأمور في تنفيذ الأوامر ولا يستطيع أن يقول للضابط ساتعرض للنووى إذا فعلت ما طلبته مني لأنه حينئذ سيوصف بالجبن للجنود كما تعلمون خاصة المارينز يظهرون قوتهم وشجاعتهم أمام زملائهم فيأتى ويتحرش ويستفز ليراه بقية الجنود وهو على وجل من عمله هذا ويخشى أن يضرب بالنووى في أي لحظة فإن نجا في هذه اللحظة سوف لن ينجو في المرة القادمة، لذلك بعض الجنود يفعل مثل هذ التحرش أمام زملائه فاذا نجا يأتيك المره القادمة بأسلوب جديد كله احترام وتودد ومعاملة طيبة حتى يتدخل بعض الإخوة ويقولون لزملائهم اتركه فقد كفاكم الله شره.

كل هذا وإدارة المعسكر تفكر وتبحث عن حل ناجع لهذا البلاء الذي حل بهم، فالجنود قد اشتكوا كثيرًا ففي كل مرة يصاب أحدهم بالنووي وهو أمر لا يحتمل ففكروا في زيادة العقوبة بما فيه حلق اللحية والشارب والرأس وهم يعلمون تمامًا أن الأسير أكثر ما يغضبه حلق اللحية، وبالفعل قل الضرب بالنووي لفترة قليلة بسبب هذه العقوبة ولكن سرعان ما عاد الجنود إلى ضلالهم القديم وعاد النووي مرة أخرى، كان الجنود يهددون الأسرى بحلق لحاهم بل وصلت الوقاحة إلى

الكذب على الأسير ويدعى بأنه هدد باستعمال النووي عليه، فينقل الأسير وهو مغلوب على أمره إلى الغرف المظلمة تحت تأثير البرودة القاسية وهو مظلوم، وأصبح لهم صلاحية بمعاقبة الأسير لاتفه الأسباب وهذا زاد من استخدام الإخوة للنووي بكثرة وبعد أن كان يستخدم مرة أو مرتين في الشهر صار يستخدم في كل أسبوع وتجد الإنفجار في أحد العنابر ومشاكل متواصلة، وفرق الشغب إما داخلة أو خارجه منه، بلغ بالجنود الخوف ذروته وانقلبت المعسكرات راسًا على عقب وامتلأت العنابر الإنفرادية بالأسرى فالنووي مفعوله قد أثر عليهم كثيرًا وصار أمره لا يطاق. هل تصدق أيها القارئ بلغ بالجندي الأمريكي بأن يتعاون مع الأسير ويساعده باستعمال النووي كيف؟! من المعلوم أن الشحناء والبغضاء موجودة في كل مجتمع وخاصة بين اليهود والنصارى بنص القرآن الكريم هذا رأيناه كثيرًا فلولا الأوامر لاقتتلوا أمامنا فالجندى إذا كان بينه وبين جندى آخر شحناء ولم يستطع أن يضربه أو يشتمه يلجأ إلى الأسرى ويحرضهم بأن هذا الجندي غير جيد وأنه يؤذى إخوانكم في الإنفراديات وينبغي استخدام النووي ضده وأنا مستعد للمساعدة بأن أحضر الأكواب لكم وانا شخصيًا ستكون معاملتى جيدة معكم بشرط ألا تخبروا أحدًا من الضباط وغيرهم بأنى معكم، فالإخوة لا يظلمون أحدًا إن كان ذاك الجندي معاملته طيبة لا يستعمل ضده النووي بهذه الحيلة يستطيع أن يشفي غليله من زميله ويكون الأسير يده التي يضرب بها ولسانه الذى يشتم به.

عندما أحست إدارة المعسكر بخطورة هذا السلاح وأنه أصبح مصدر قلق للجنود والضباط وكبار الزوار، لذا لجأت إلى أساليب جديدة للحد من استخدامه وذلك بأن أعادوا صيانة عنبرين كاملين يسعان ثمانية وأربعين زنزانة، وضعوا زجاج على الأبواب والنوافذ والجانب الأيمن والأيسر، بحيث يمكث الأسير في زنزانة من زجاج وبهذا لايستطيع استخدام السلاح. ولهذا السبب وضعوا الزجاج على أبواب

الزنازين في المعسكر السادس كما أوضحت لك سابقًا. حقيقة هذه الطريقة قلصت من استخدامه ولكن الإخوه لم يتوقفوا تمامًا، لان عنابر الزجاج عنبرين فقط من عشرين عنبرًا، فالأسرى في العشرين عنبر لم يتوقفوا فالذى يستعمل النووي ينتقل إلى عنبر الزجاج ويقضى عقوبته ثم يخرج، لجأت إدارة المعسكر إلى حيلة ثانية بأن وجهوا الجنود الخبثاء للعمل في عنابر الزجاج، وأعطت أوامر للجنود الذين يعملون في العنابر الخالية من الزجاج عدم الاستفزاز والإهانة ولكن هذه الطريقة هى الأخرى أيضًا لم تجدي بسبب البغضاء والشحناء التي بين الجنود، جاء أحد الجنود لأخ من بلاد الحرمين (حفظه الله) في عنبر الزجاج وقال له: أريد منك أن تستعمله على أحد الجنود وأنا أعلم أن الوضع هنا صعب لذلك سوف أعطيك كوب فارغ لتجهّزه فيه وسوف أفتح لك النافذة الخاصة بالطعام بحيث لا يرى إنها مفتوحه، إذا جاء الجندى أدفع النافذة والقي عليه مافى الكوب وبالفعل تمت العملية بنجاح وكان هذا الجندي الذى أصابه النووي مطلوبًا مبغوضًا من قبل الإخوة الأسرى لأنه أذى الكثيرين منهم. وإذا حصلت مشكلة كبيرة في عنابر الزجاج ولم يجد الإخوة طريقة لاستخدام النووى يتفق أغلب الإخوه ويخرجون المادة عبر فتحة الباب بعد تذويبها بالماء حتي يسهل خروجها ويملأ وسط العنبر وتتفاجأ الإدارة والجنود ولا يستطيعون التحرك داخل العنبر كنا نفعل ذلك لنكسر أنفتهم وكبرياءهم ويسرع الجنود في نظافة العنبر والضحكات تتعالى عليهم ونقول لهم: اغسل هنا جيدًا يا أمريكى وإن كنت جائعًا فهو أفضل طعام لك ونسخر منهم وهذا مما يملأ نفسه حنقًا وحقدًا ويتم معاقبتنا عقابًا شديدًا، فكرنا في ترك هذه الأفعال ولكن وجدنا أن الأمريكان لايتوقفوا عن غيهم إلا بالضرب إن تركتهم لا يتركونك والأفضل أن نشغلهم حتى يخف أذاهم عنا.

أنا شخصيًا أستخدمت النووي مرة واحدة فقط وكان هذا بسبب أحد الرقباء الاميركان الخبثاء فقد كذب على أحد الإخوه ويدعى (ماهر الفلسطيني) وقال «إنه هدده بضربه بالنووي» والاخ أصلًا لم يهدده ولكن الرقيب أراد معاقبته بأي طريقة وكتب التقرير بذلك ونقل الفلسطيني إلى الغرف الإنفرادية للعقاب، غضب الإخوة من هذا التصرف وكانوا يخشون إذا تكلموا أو اعترضوا تكتب عنهم تقارير وينقلون إلى الإنفراديات بغير سبب، وهذا الرقيب حقيقة آذى أسرى كثيرين وكانت له صلاحيات يمارسها لأن أحد الضباط كان إما صديقه أو من ذوى قرباه لذلك كان يستفز الأخوة، كان ضخم الجثة ومكروه بين الجنود.

شاهد الإخوه أخاهم الفلسطيني في شيء من الحزن والشفقة وهو ذاهب إلى العقوبة من غير ذنب والرقيب يتجول رافعًا رأسه في تيه ومستمتعًا بنشوة النصر على هذا المسكين ولسان حاله يقول: من الذي يجرأ على تهديدى؟ من الذي يستطيع أن يرفع عينيه عليّ؟ والأخوة في هذه الأيام كانوا يريدون الهدوء ولا يريدون التحرشات والمشاكل لأن الكثير منهم كانوا يريدون أن يكملوا حفظ كتاب الله قلت في نفسى: لابد لي أن ألقن هذا الرقيب درسًا لن ينساه في حياته ولم أضع في حسابي عاقبة ما سأقوم به لذا قررت استخدام النووي واستخرت الله أولًا ثم تجهزت ولم أخبر أحدًا بذلك إلا جاري وهو من بلاد الحرمين من مدينة القصيم وسلمته الرسائل والأشياء الخاصة بي لأنها سوف تصادر إذا ذهبت إلى الغرف الإنفرادية كما أخبرت اليمني الذى كان زنزانته تواجهنى أمرته أن يبتعد ويلف فراشه وأشياءه ويجلس في ركن قصى كان الإخوه مشفقون علي من العقوبة الشديدة ويقولون لي لا تستعمل النووى لا يوجد (زول)[1] سودانى غيرك في هذا العنبر

(١) زول: فى اللغة العربية بمعنى شخص.

يخبرنا عن السودان وأنهاره ومعالمه، كانوا يحبوني في الله ويقولون لي: إن فعلت هذا ستنقل إلى مكان آخر وتغيب عنا سنينًا واحتمال لن نراك إلى الأبد إلا إذا شاء الله. هذان اثنان ممن كانا يعرفان ما أنوي فعله فكيف سيكون الحال إن عرف بقية الإخوة البالغ عددهم ثمانية واربعين أخًا، من أجل ذلك طلبت منهما كتم هذا السر. غاب الرقيب بعد خروج الفلسطيني مباشرة حتى يهدأ العنبر، عاد إلى العنبر مرة أخرى خوفًا من أن يتهمه زملاءه بالجبن، جاء حذرًا وهو يعلم أنه مستهدف ولكنه في نفس الوقت يساوره الشك بأن أحدًا لن يجرؤ عليه وهو ينتفخ ويقول في قرار نفسه: أنا الذي يخشاني الجنود وهؤلاء أسرى تحت رحمتي، طلبت من الإخوة ألا يسبوه حتى لا يشعروه بأنه مستهدف، طلبت منهم أن يعطوه الأمان، دخل إلى العنبر وخرج منه ثم دخل وخرج، وتيقن تمامًا بأن هؤلاء الأسرى قد خافوا وأن أحدًا لن يجرأ علي النيل منه.

رأيته مقبلًا نحوي، طلبت من جيراني واليمني أن يأخذا حذرهما من هذا النووي الذي سيقلب الأمور رأسًا على عقب، أوقفته وقلت له: الجنود لم ياخذوا بقيه طعام الغداء، أريد منك أن تفتح نافذة الطعام، فتح النافذة ليأخذ الطعام، أعطيته وقبل أن يغلق النافذة قلت له عندي قوارير ماء وكان لديّ منها ستة قوارير وكنت أتدرب بها كرفع الأثقال وستة كاسات أخرى فارغة مع الكأس المليء بالنووي، أعطيته قارورة الماء الأولى الثانية والثالثة والرابعة وهو يستغرب ثم أردفته بالخامسة والسادسة حتى أمتلأت يداه وهو مندهش كيف تحصلت على كل هذا، ومن المعلوم أن الذي يملك أكثر من حاجته يعاقب وأنا لم أفكر في هذه العقوبة لأن العقوبة القادمة أكبر وأشد منها بكثير، أعطيته كل هذه القوارير الفارغة ووصديقي من بلاد الحرمين واليمني ينظران في حذر وترقب وبقية الإخوة يخيم عليهم القلق مما سيحدث، عندما همّ أن يغلق النافذة أخرجت الكوب المليء بالنووي وقذفته

بقوة على وجهه، سال بعضها على رقبته وبعضها التصق بالسقف وظل يتساقط على رأسه، أطلق صرخة مدوية وولى هاربًا، هنا تعالت التكبيرات والضحك والسخرية على الرقيب وهو مطأطئ الرأس في حالة يرثى لها، خرج ليعمل فحوصات ما أن خرج الرقيب حتى توافد عليّ الجنود يهنئونى رافعين أيديهم بعلامة النصر منهم من أدخل يده في الزنزانة يحيينى بحرارة ومنهم الذى يشير علىّ بعلامة (OK)(١) (good) ومنهم من كان يتمنى أن يدخل عليّ في الزنزانة ليشكرني، كل من يمر أمامى من الجنود يبتسم في وجهى، أخبرتهم بأن يبلغوا إخوانهم الجنود بأن النووي سوف يستخدم أيضًا على الذي يكذب على الأسرى وأن يبلّغ الحاضر الغائب كان هذا التصرف المتمثل في السعادة والفرحة للجنود مفاجاة بالنسبة لى ويبدوا أنهم كانوا أيضًا غاضبين عليه ولكنهم مغلوبون على أمرهم وخاصة هو قائدهم. جاءت المجموعة التي سوف تأخذني إلى الغرف الإنفرادية كانت معاملتهم تختلف عن المعهود من شدة في القيد وغيرها، أحسست أنهم في سعادة مما فعلته في الرقيب، عند خروجي رأيت في وجوه الإخوة الفرح والسعادة يخالطه نوع من الحزن والإشفاق لأنى مفارقهم، خرجت والتكبيرات المتواصلة تهز أركان العنبر والدعوات بالثبات والحفظ تتوالى عليّ، حين وصلت البوابة الخارجية وجدت مجموعة كبيرة من الجنود يخيم عليهم الصمت ولولا وجود المسئولين وكبار الضباط لأظهروا سعادتهم. ووجدت في الغرف الإنفرادية المعاملة مختلفة تمامًا ولم أحس بأني في الغرف الإنفرادية إلى أن خرجت منها والحمد لله. بعد شهر خرجت من الإنفرادى وعدت إلى زنزانتى وعبارات الترحيب والثناء تنهال عليّ من كل صوب وحدب من الإخوة والجنود، بعد أيام جاءني الرقيب وقد ارتسمت على

(١) OK: الاشارة بالابهام تفيد الايجاب والقبول وهى مصطلح غير عربى.

وجهه ابتسامة عريضة وحياني علمت من الإخوة بأنه أصبح من أفضل الجنود في معاملة الأسرى، هكذا كنا نأدبهم بالنووي.

أما المجندات الأمريكيات فقد أخذن نصيبهن من النووي بما فيه الكفاية بسبب إغرائهن للشباب، كان بعضًا منهن يخلعن السترة العسكرية وتبقى بالملابس الداخلية بحجة أنها تريد نظافة العنبر والشباب في مرحلة حرجة من الأعمار ما بين ثمانية عشر إلى سته عشرون سنة، هنا يتبرع أحد ويستخير الله ويطفى هذا النار بالنووي يضرب به على وجه المجنده حتى ترعب ولا تحاول مرة ثانية إفساد هؤلاء الشباب، كان منهن من تخصص في تفتيش الزنازين وأخذ الأغراض الصغيرة لكي تثبت للجنود بأنها قادرة على هؤلاء الأسرى كان كثير منهن يتحرشن بالإخوة في الطريق وهم ذاهبون إلى التحقيق أو العيادة وهى أما أن تكون مأمورة وإما أن تكون خبيثة في نفسها، وكان الحل لكل هذا، إما النووي أو التفل في الوجه -أكرمك الله-.

ومن الأسلحة الفتاكة التي كان يستخدمها الأسرى التفل والنخامة حتى صار هذا السلاح من أكثر الأسلحة استخدامًا، فالجندى تتفل على وجه يمسح النخامة من وجه ويستمر في الاستفزاز، وما من جنرال أمريكي في غوانتنامو إلا وأخذ نصيبه من التفل إلا القليل وكذلك المحققون لأن التفل لا يحتاج إلى تحضير وكان هذا هو السلاح الوحيد الذي لم يستطيعوا أن يحدوا من خطورته، تستطيع أن تستخدمه وأنت مقيد في السلاسل أمام المحقق أو الطبيب أو المحامي، لذا لجأوا إلى وضع كمامة على أنف وفم الأسير لمدة شهر عقابًا له إذا تفل على وجه أحد من الضباط أو المحققين أو الجنود وغيرهم، ولله در الإخوة من بلاد الحرمين والإخوة اليمنين والإخوة من بلاد المغرب العربي فقد أجبروا المجندات في احترام أنفسهن، كثير منهن يبكين بعد التعرض للنووي والتفل واذا جاءت في المرة القادمة لاتستطيع أن ترفع عينها على الإخوة.

ومن الأسلحة الأخرى الضرب بالرأس وكان هذا يستخدم في حالة أن يكون الأسير مقيدًا ويشرع الجندي في تفتيش جسده بخبث ويحاول أن يلمس الأماكن الحساسة كالعورة عندها يضرب الأسير الجندي برأسه حتى يكاد يفقده وعيه، عندئذ يجتمع عليك ثلة من جنود آخرين ويلقونك على الأرض كما يلقى الثور ويجلسون على صدرك ويوسعونك باللطم والركل والضرب وكان هذا أشد أنواع العقوبات على الأسير لأن هذا العقاب كان غالبًا ما يؤدى إلى عاهات مستديمة وتشوهات واحيانًا إلى موت الأسير بأيديهم، لذلك كانوا حريصين أشد الحرص بأن لا يكون في المعسكر أي سلاح سواء كان سلاحًا أبيضًا او ناريًا، وكانوا يقومون بالتفتيش اليومى للزنزانات خوفًا من مثل هذه الأسلحة البيضاء مثل قطعات الحديد أو الحجارة أو أي أشياء حادة، أخطر سلاح كان في أيدينا هي المعالق البلاستيكية التي تأتي مع الوجباب الثلاث، كانوا يأخذونها قبل الصحون البلاستيكية من شدة الخوف. وإذا حقد جندي على أحد الأسرى يقوم بوضع معلقة بلاستيكية في زنزانته ويبلغ عنه فرقة الشغب، تأتي فرقة مكافحة الشغب وتدخل على الأسير وبعد التفتيش يجدون المعلقة مخبأة في مكان ما، ينقل الأسير إلى التحقيق ويسأل: لماذا خبأت المعلقة؟ وأي الجنود تريد أن تصيب عينه؟ مهما تحاول أن تبرئ نفسك فأنت كاذب في نظرهم فتنقل إلى الحبس الإنفرادي، أما الجندي الذى لفق إليك التهمة فهو يعتبر جنديًا مثاليًا عند المسئولين وأنه من الحريصين على أمن المعسكر ولكن مثل هذا الجندى لا يستطيع الإفلات من عقوبة الإخوة مهما طال الزمن أو قصر ولابد أن يتبرع أحد الإخوة للانتقام لأخيه كالذي فعلته مع الرقيب الذى كذب على الأخ الفلسطيني.

ومن الطرق التي كنا نستخدمها هو سحب يد الجندي لكسرها، كان يحصل هذا كثيرًا إذا فعل الجنود شيئًا مع الأسير وهو في القيد، يصمد الأسير أمام ما يفعله

الجندي ويضمر ذلك في نفسه حتي يدخل الزنزانة، وأثناء فك القيد يسحب السلاسل إلى الداخل بقوة، كثير من الجنود كانوا يخشون من هذا الفعل لذلك كنا نرى أيديهم ترتجف عند فك القيد، كانت نفسياتهم منهارة، كنا نهددهم بالقتل وترتعد فرائصهم خوفًا من هذا التهديد يأتى أحدهم إليك ويقول أنا لم أفعل شيئًا لماذا تهددنى بالقتل؟، يقول لك وأنت داخل الزنزانة، سبحان الله مقلب الأمور! فقد صار القوي تحت رحمة الضعيف وأخذ يستعطف من هو أحق بالعطف. إذا أردنا إثارة أعصابهم نقول لهم: لا تتكبر علينا وتستعرض عضلاتك فان كنت شجاعًا فأذهب إلى العراق وأظهر عضلاتك هناك (للزرقاوى)[١] كنا نقول هذا حتى لكبار الجنرالات وبل أشد من هذا أمام جنودهم، أغلب الجنود كانوا يعانون من غباء مركب لا يحسنون التصرف ويقعون في أخطاء قاتله كأن يترك قفل الزنزانة مفتوحًا حينئذ كنا نأدب الجندي بطريقة أخرى كنا نطلب المترجم ونقول له نريد أحد الضباط لنبلغه بمشكلة كبيرة في هذا العنبر، والجندي لا يعرف أن الأمر يخصه وأنه سيفتح عليه بعد قليل نار جهنم، يحضر الضابط رافعًا أنفه في كبر وخيلاء ويسأل: ماذا تريد؟ يرد عليه أحد نيابة عن الآخرين ويخبره بأن هذا الجندي غبي ولا يهتم بالحراسه جيدًا ودائمًا يترك الحراسة ويجلس مع المجندات والفتيات وقفل الباب مفتوح، هنا يرتبك الضابط وتدور عينيه وينظر أولًا إلى زنزانة المتحدث ويسأل باهتمام أي الزنازين مفتوحة؟ إذا كان الأسير المتحدث يريد إهانة الضابط يقول له: ابحث بنفسك أو أسال هذا الجندي الغبي أي الغرف تركها مفتوحة، يبحث الضابط والجنود والمترجم عن الزنزانة المفتوحة، في خوف ووجل وعندما يصابوا بالخيبة في العثور علي الغرفة المفتوحة يقول الأسير المتحدث: الزنزانة رقم كذا ويتفاجأون بذلك ولا يستطيع الجندي الدفاع عن نفسه ويعاقب عقوبة إدارية قاسية كان

(١) الزرقاوى: احد قادة تنظيم القاعدة الذى ازاغ القوات الامريكية الامرين ببلاد الرافدين.

يحدث مثل هذا كثيرًا، أنا شخصيًا وجدت ما لا يقل عن سته زنازين مفتوحة بداخلها الأسير في فترات مختلفة إذا كان الجندى حسن المعاملة مع الأسرى نستره وإن كان من الخبثاء نبلغ عنه الإدارة ونضحك على غبائه.

❑ بعض الرؤى الصادقة والكرامات:

حقائق كثيرة وصفات غريبة لا أستطيع سردها لأن المقام لا يسعنى، نكتفي بهذا القدر، فالإخوة رغم الأسر وألوان العذاب وصنوف الإهانات ضربوا أروع الأمثال لعزة المسلم، كنا نستشعر معية الله وعظمته ونعمة ورحمته ولطفه علينا خاصة بعد أن صرح رئيسهم الأحمق (بوش الصغير) حين قال: «أن رحمهم ربهم لن أرحمهم» وذلك عند أول دخولنا لمعتقل غوانتنامو أبى الله ﷻ إلا ان ينزّل علينا رحمته ولطفه نرى أساليبهم في التعذيب كانت تنزل علينا بردًا وسلامًا وهم يرون أنها لا توجد مثلها، وكان من نعم الله علينا الرؤى الصادقة التي كنا نراها في المنام خاصة الحبيب (المصطفى ﷺ)، كان يأتى في المنام ويصبّر الإخوة ويحثهم على الثبات وكثير منهم من كان يرى سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام ومنهم من كان يرى الصحابة رضوان الله عليهم، ومنهم من رأى نفسه يخرج من هذا المعتقل ويقتل ومنهم من كان يرى أنهيار أمريكا وإليك طرفًا من هذه الرؤى الصادقة.

رأى.. أحد الإخوة في منامة سفينة ضخمة في عرض البحر تغرق وتحيط بها عدة سفن صغيرة أما أنها كانت تأخذ منها أشياء قبل أن تغرق وأما أنها كانت تمد لها يد العون حتى لا تغرق، أولها أحد الأخوة وقال: (إن السفينة الضخمة هي أمريكا وغرقها هي أنهيارها وأما السفن الصغيرة هى الدول الموالية لها حين أحست بإنهيارها، شرعت تسحب مصالحها منها أو أخذت تمدّها بالعون لإنقاذها حتى لا تفقدها وتفقد مصالحها، ولكن لم يفلحوا في محاولتهم لانقاذ ما يمكن أنقاذه).

أما الرؤية الثانية. . فقد رآها أحد الإخوة البوسنين من أصل جزائرى، كان هذا الأخ من أكثر الناس رؤية للنبي (ﷺ)، لا يمر شهر إلا ويرّى النبي ﷺ، قبل خروجي بسنه قابلناه أنا وسامي الحاج مصور قناة الجزيرة في الساحة الرياضية سألناه عن أخر الرؤى فقال: رأيت رؤية عجيبة ثم سأل: هل لديكم كاتب روائى سودانى أسمه الطيب صالح قلنا له: نعم، قال: رأيت الرسول ﷺ يقف فوق قبر من القبور ويمسك بمعول. قلت له يا رسول الله ماذا تريد ان تفعل بهذا المعول؟ قال: أريد أن أعيد دفن والدة الطيب صالح وصرت أساعده في ذلك، انتهى). الرؤية تحتمل النقص لأن الزمن طال ولا أدري أن كانت الرؤية خاصة بأسرة الكاتب الطيب صالح أم يرمز بها إلى السودان، نسأل الله أن يهدي عباده للحق أما الرؤية الثالثه:

فهي خاصة بي وقد رآها أحد الإخوة المغاربة (سعيد بوجعدية) قبل خروجي من الأسر بشهر وكانت بشارة بخروجى قال لى: يازول رأيتك في رؤية مبشرة قلت: له خيرًا إن شاء الله، قال بينما أنا جالس في زنزانتى وأنت معي في الزنزانة دخل علينا رئيس السودان عمر البشير ومعه أثنان من الحراس وسألنى: أين وليد السودانى؟ قلت له ها هو معى بالداخل ماذا تريد منه؟ قال جئت لأخذه معى. قال المغربي خرجت أنت يا وليد وسلمت عليه ثم قلت للرئيس أريد ان أذهب معكم إلى السودان فقال الرئيس: مرحبًا بك ولكن هذه الأيام الحرارة مرتفعة عندنا في السودان، انتظر حتى يبرد الجو). إنتهى.

ولم تمر أيام وجاء الوفد الحكومي السوداني وتم فك أسرنا بعدها بأيام قليلة أنا وسامي الحاج (مصور قناة الجزيرة) وأمير يعقوب والمغربي نفسه نزلنا بمطار الخرطوم. الرؤى كثيرة جدًا وإن وجدت فرصه سوف أجمعها من أصحابها وأجعل لها كتابًا باسم (رؤى غوانتنامو). وأنشرها إن شاء الله.

والكرامات التي حصلت للإخوة من غيري والرؤى كثيرة وأروي لك بعضًا منها، منها أخ في الغرفة الإنفرادية بلغ به الجوع مبلغًا عظيمًا علاوة على المعاملة القاسية وبرنامج التجويع المطبق عليه، دعا هذا الأخ وتمنى من الله تعالي أن يرزقه بأشهى أنواع الطعام وفي لحظات فتح الحارس نافذة الزنزانة وناوله الطعام ومنها. أن احد الإخوة رأى في منتصف الليل من النافذة عمودًا من نور نازلًا من السماء في أحد الزنازين وعمل جاهدًا لمعرفة زنزانة من كان ولكنه لم يفلح، ومنها ما رواه لي ياسر الزهراني الذي كتبت عنه في وسط الكتاب قال لي: كنت مضربًا عن الطعام ورفضت أخذ أنبوبة التغذية جاءت فرقة الشغب ووقفوا أمام زنزانتى لغرز الأنبوب بالقوة، هنا دعوت الله وقلت: اللهم أكفيني شرهم بما شئت، رجعوا ولا أدري لما ذهبوا؟ وبعد قليل جاء الضابط وتكلم معي لكي آخذ الأنبوب، رفضت خرج وجاء بفرقة الشغب مرة أخرى، دعوت الله قائلًا اللهم اكفني شرهم بما شئت، فلم يستطيعوا الدخول عليّ وهكذا استمرت هذه الحالة إلى زمن طويل، ادعو الله تعالي ويرجعوا صاغرين خائبين وأخيرًا وجدوا أن الأمر لا يحتمل وقال: يجب أن يأكل الأسير فهو لم يأخذ الأنبوب منذ أيام، يقول الأخ ياسر الزهراني: دخلوا عليّ برفق ولين ومعاملة حسنة ووضعوا الأنبوب.

هكذا عشنا حياة قاسية كلها معاناه وتعب في سبيل عزة الإسلام والمسلمين لا نبغى من وراء ذلك سمعة ولا رياء، إنما جعلناها خالصة لوجه الله تعالى فكان قدوتنا ورائدنا في كل أقوالنا وأفعالنا الحبيب المصطفى ﷺ. وأصحابة الغر المحجلين الذي حملوا راية الإسلام وقدموا أنفسهم فداء وتضحية في سبيل نشرة في أرجاء المعمورة. فما عانيناه في سبيل الإسلام لا يساوى شيئًا أمام ما عانوه وما ذاقوه من ألوان العذاب فطوبى لهم وحسن مآب وأسال الله تعالى أن يتقبل عملنا هذا ويجعله في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم.

الفصل السادس

* الخاتمة.
* الأشعار.
* المصادر والمراجع.

الفصل السادس

☐ الخاتمة:

تلك كانت تجربتي مع الأمريكان ومن حالفهم منذ أن وطأت قدماي أرض الجهاد والصمود أفغانستان ومن بعدها غياهب معتقل غوانتنامو سيئ الذكر وقد خلصت من هذه التجربة إلى عدة حقائق منها:

* إن الهجمة التي قادتها أمريكا ومن حالفها ضد ما يسمى محاربة الإرهاب في شتى بقاع العالم الإسلامي والعربي وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ما هي إلا ذريعة لاستهداف العالم الإسلامي والعربي وكسر شوكته حتى لا تقوم لها قائمة، هذه القوة التي يعملون لها ألف حساب.

* إن أمريكا ومن حالفها لا تسعى إلا لتحقيق مآربها على حساب الأنظمة العربية والإسلامية الضعيفة وذلك ببسط سيطرتها على موارد هذه البلاد وبناء قواعد لحماية مناطق نفوذها الحيوية والعسكرية والإستراتيجية والأقتصادية ولعمرى أن هذا الاستعمار أقتصادى جديد من نوعه.

* إن أمريكا ومن حالفها تسعى بشتى الوسائل إلى تنصيب حكومات ضعيفة مواليه لها، تحركها كقطع الشطرنج تلبي لها رغباتها وتنفذ لها أجندتها الخفية.

* تسعى إلى نشر ثقافاتها الفاسدة عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لصرف أنظار الشباب المسلم عن الجهاد وإلهائه عن التمسك بدينه الحنيف وإنها والله لأخطر أنواع الاستعمار هذا الغزو الثقافى والاستلاب الفكرى، فالأمة الإسلامية مستهدفة بواسطة هذه القنوات الفضائية والمواقع الإباحية في الإنترنت والتى باتت تدخل بيوت المسلمين من غير استئذان، أي مصيبة هذه الذى حلت بهذه الأمة المغلوبة علي امرها!

* إن أمريكا ومن حالفها وصلت بهم الجرأة أن تفرض على بعض الأنظمة العربية والإسلامية المواليه لها بحذف الآيات التي تدعوا إلى الجهاد وكذلك الآيات التي تكشف جرائم بني إسرائيل وتاريخهم الأسود ضد أبنائهم وضد الإنسانية وتجبرها على تغيير هذه المناهج بمناهج أخرى تستجيب لرغبتها.

* شعار حقوق الإنسان والحرية وحماية القانون الدولي الذي تدعيه أمريكا ومن عاونها بأنها حامية له تتخذها كذريعة لإضعاف الأمة الإسلامية والنيل من سيادتها وعزتها ولكن للأسف هذه الشعارات أبعد ما تكون في قاموسهم القانونى والسياسي وماذقناه في قاعدة قندهار ومعتقل غوانتنامو لهي دليل كاف بأنها في واد وهذه الشعارات في واد آخر. فلا يغتر أحد بهذه الشعارات البراقة الجوفاء التي تتستر خلفها أمريكا وغيرها وتمرر من خلالها سياستها الدنيئة علي العالم الإسلامى والعربى.

* إن إمبراطورية هذا الزمان (أمريكا) قد دنت نهايتها وسيكون مصيرها مصير من سبقتها من الإمبراطوريات القديمة كالروم والفرس والأقوام السابقة التي طغت وبغت وملأت الأرض فسادًا فأخذها الله أخذ عزيز مقتدر.

لكل شئ إذا ما تم نقصان — فلا يغرّ بطيب العيش إنسان

هى الأمور كما شاهدتها دول — من سره زمن ساءته أزمان

* فهذه الأزمة المالية التي تضرب العالم بأسره وفى مقدمتها أمريكا ما هي إلا أولي مراحل الإنهيار الكبير وقد يأتى الخطر من مكمنه كم يقول المثل.. فأمريكا ستدمر نفسها بنفسها وذلك بسبب سياستها الرعناء وعجرفتها الزائفه.

في الختام أقول لن ينصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ولن نصل إلى العزة والمنعة إلا بتحرير كل شبر من الأراضى الإسلامية والعربية، من هؤلاء

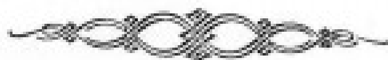
الأنجاس والرجوع بالإسلام إلى سابق عهده ومنبعه الصافى وتطهير أنفسنا من كل مظاهر الفساد الذى استشرى في مفاصل مجتمعنا عبر وسائل الإعلام وغيرها. ولن تستكمل الأمة الإسلامية والعربية فضائلها وقيمها الروحية ومبادئها النبيلة إلا بالتربية الدينية الصحيحة.

يطّلع بها الأباء والمعلمون والدعاة والأئمة فالرسول ﷺ يقول: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**». **ولن تصل الأمة إلى مجدها وعزتها إلا بتوحيد بنيها واستغلال مواردها الذاتية لخدمة مصالحها.**

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا إفترقن تكسرت آحادا

تعلمون أن هناك مسلمون زج بهم في غياهب المعتقلات والسجون السرية في أنحاء مختلفة سجنوا زورًا وبهتانًا ليس لشيء إلا لأنهم قالوا ربنا الله ونحن وإن لم نستطيع نصرهم بالسلاح المادي فعلينا أن ننصرهم بالسلاح المعنوي أي سلاح الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يفك أسرهم ويحفظهم من كل سوء ويعيدهم إلى أوطانهم سالمين غانمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.



الأشعار

❑ قصيدة الأسير:

للداعية : ابراهيم الريش (حفظه الله) معتقل سابق بغوانتناموا (كتبها داخل المعتقل) :

قالوا أسير قد براه أساره ... في سجنه وهمومه أسرارُ
ويرى السماء بها ملاذ همومه ... ونجومها أحبابه السُمّارُ
«الجدي» صاحبه، «سهيل» أنيسه ... في ليله، وحديثهم أسرارُ
في ليلة بالصمت طاب حديثها ... سمرٌ عجيب بالسكوت يدارُ
قالوا أسير في السجون مغيبٌ ... وسط الغياهب والأنيس جدارُ
يبقى وحيدا أو يعيش معذبًا ... يلقى المواجع مالديه جوارُ
السجن ليل بالمواجع سرمد ... وخروجه إن أخرجوه نهارُ
نور السجون بها ظلام دامس ... والكون فجر بالظلام منارُ
قالوا أسير بالهموم مقيد ... وعليه من نسج الهموم شعارُ
وضجيعه عند الرقاد همومه ... وعليه منها في الفراش دثارُ
قالوا أسير بالقيود مكبل ... أو من قيود الظالمين فرارُ
القيد أثقله وآلم رجله ... وبساقه من قيده آثارُ
وبخصره مثل الحزام سلاسل ... ومن القيود بمعصميه سوارُ
السجن كهف مظلم بل موحش ... فيه الأفاعي والعقارب جارُ
هاتيك تلدغه وتلك تخيفه ... وعليه يضرب كالجيوش حصارُ
وتفره الأخرى بملمس جلدها ... وبنابها الأهوال والأخطارُ
السجن غاب والسجين غزالة ... والذئب فيها الصائد الغدارُ

من قد رأى ذئب يصون مودة   أم هل يصان لدى الذئاب جوارُ
الذئب لؤم والخيانة أمه   والغدر فيه وما عليه غبارُ
السجن ميدان وفيه غضنفر   وعليه من أثر القيود صغارُ
أسد يقاد إلى اللقاء بساحة   القط فيها السيد المغوارُ
القط نسر والهزبر حمامة   والسر قيد إنها الأقدارُ
السجن سوق والسعادة بائع   ومن التعاسة قد أتى السمسارُ
السعد أفلس والشقاوة تشترى   والبيع غش باللئام مدارُ
قالوا أسير يا لسوء مصيره   ومن التعاسة عنده أخبارُ
فأجبتهم كفوا الملامة ويحكم   فأنا الأسير وما بأسري عارُ
وأنا السجين وفي السجون سعادتي   ولدي من شرف السجون شعارُ
أنا إن أسرت أنا الهزبر شجاعة   بمكيدة قد صاده غدارُ
ولأن أسرت أنا المهند مغمد   ولدى اللقاء يسله الكرارُ
السجن أنسي بل أمين سريرتي   ولدي منه وعنده أسرارُ
نقضي الليالي والجدار مؤانس   ومع السلاسل قد يطيب حوارُ
صوت السلاسل نغمة محبوبة   لمسامعي وكأنه قيثارُ
السجن واد والسيول تصيبه   ولنحن في صحراءه أشجارُ
سيل من الرحمات يأتي صيبا   هل يمنع السيل العظيم حصارُ
كلا ولن تلقاه ألف قذيفة   أو ألف جيش للقاء جرارُ
السجن درب بالمخاطر حافل   ولدى الجنان سينتهي المشوارُ
ولدى الجنان رضى الإله مرادنا   وبها النبي مع الصحابة جارُ
السجن أنس بالكتاب وآيه   وظلامه بهدى الإله منارُ
يا من رأى بالسجن طيب حياته   والأنس فيه كذلك الأنوارُ

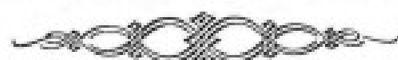
لبس السعادة فيه أجمل حلة ... ومن الحدائق عنده أزهارُ
حدث فديتك عن نعائم ربنا ... وإذا خلوت فما هي الأخبارُ
وليعلم الداني وقاصي قومنا ... والأبعدون بحينا والجارُ
الصالحون من الخلائق كلها ... والطالحون كذلك الأشرارُ
وعجائز في الليل طال بكائها ... عند الدعاء وبعدهن صغارُ
ولتعلم الدنيا بكل عبيدها ... أن الإله بحفظه قهارُ
ساق الرحائم للعباد عظيمة ... وعدو ربي دربها المسيارُ
وعلى يديه تساق نعما ربنا ... وترى العدو لردها يحتارُ
وتراه يجهد كي يسوق أذية ... بمكيدة وبعينه مكارُ
لكنه يبقى أمامك عاجزا ... قد ساق لكن حالت الأقدارُ
واعجب لسجان عبوس وجهه ... وفؤاده قدر عليه النارُ
وسجينه شرب السعادة عذبة ... ومن السعادة عنده أسرارُ
يبدي السعادة في الشدائد والرخا ... وكأنه شجر عليه ثمارُ
فاسعد بسجنك ما بقيت موحدا ... تمسي وتصبح، ربك الجبارُ
لست الأسير فأنت مصدر عزة ... للعزة العظمى بقلبك دارُ
ما الأسر إلا أن تهيم بغادة ... حسناء تنثر حولها الأزهارُ
ما الأسْر إلا أن تقيم بحانة ... وجليسك العربيد والفجارُ
ما الأسر إلا أن تجالس مطربا ... دنسا ليشجي سمعك المزمارُ
ما الأسر إلا أن تعيش معذبا ... كي لا يفارق جيبك الدولارُ
ما الأسر إلا أن تلاحق شهوة ... هانت عليك لأجلها الأسفارُ
ما الأسر إلا أن تطيق معيشة ... بالذل عاث بأرضها الكفارُ

أرض الشّمال:

للشاعر: صلاح البحريني - كتبها في سجن غونتناموا حينما سمع قصة الإخوة الأربعون الذين قتلوا وهم في الصلاة وهولاء هم الذين رأهم عبد الله المكى في (الرؤيا) واليك بعض اسمائهم:

أرى بوسط فيفافى الأسر إذ شجر   أوراقها سقطت فعلتها أغصان
مضيت أمشي على الحصباء في مهل   أدنو وأدنو وجوف اللب حيران
وجدت نقشًا ببطن الجزع قد نقش   أرض الشّمال أبعد الغدر خزلان؟
سمعت صوتًا من الأغصان ها تفنى   أسد الشمال هنا بالأمس قد كانوا
فرحت أقلب في أوراقها فإذا   لكل واحدة اسم له شأن
رفعت واحدة نادت تخاطبني   (عبد السلام) فداك اليوم عينان
رفعت أخرى فنادت لي (أبا بكر)   فتى أسيفا إذا ما يتلى قراءن
رفعت أخرى مقيم الليل مبتهل   أبا (الفداء) ودمع العين بركان
رفعت أخرى رفيق القلب خادمهم   بفقد (حمزة) كم قاسوا وكم عانوا
رفعت أخرى مدير الحرب قسؤرة   تبكيك يا (عمر) في البحر حيتان
إذا تبدت جموع الكفر مقبلة   تردها بحمى (القيسي) نيران
ويحكم القطع في أشلائها (حسن)   رميًا وقنصًا فما للعيش إمكان
وفيهمو (عمر) شق الوغى غضبًا   ذاك الحبيب سقايى الهم أحزان
وتقدم الأخرى في أثواب محنتها   ترثي (زهيرًا) ولن ينساه فرسان
رفعت أخرى فاذا بالليل يحدقها   ونور (حفص) وقد ضمته أشجان
رفعت أخرى فإذ بالدمع يغلبها   بصنع (صمصاع) لم تأتي فتيان
رفعت أخرى فنادت لي (عبد الملك)   كذاك (زيد) فهل للحزن ميزان

و(عز دين) و(خلاد) كذاك (جنيد) وما أطاقت بقاء الروح أبدان
(ومصعب) وكذلك الليث (عزام) وإنّ (حيدرة) للكفر طوفان
(أبو تراب) بقاع الأرض تفقده (وابن العلي) يليه الفوز عثمان
وجدت واحدة بالدمع شاهقة (أبا محمد) الليث الذي خانوا
وجدت واحدة بالدمع شاهقة (أبا محمد) الليث الذي خانوه
بأهل غدر ولكن نال مطلبه فما استطاعت بقاء وذاك القلب ولهان
طفقت سعيًا إلى الأوراق أجمعها جمعتها فبدت بالجمع كثبان
تاتي رياح إلى العلياء ترفعها نحو السماء حامت فيه عقبان
تداخلت فبدت بالأفق مائلة كقلعة نطقت والكرّب ألوان
يا قلعة الجنك فيك الأسد قاطبة وما استكانوا لطغيان وما لانوا
هبوا لعزّ وقض الذل مضجعهم قبل الجهاد وما بالدار سلوان
منارة العز أبدت نورها فمضوا إلى العلياء وشخص الموت ربان
بخيط غدر خيطت مؤامرة فهل تليق بجسم الأسد قمصان
أسد وأي أسود لأرض تلحقهم بعد الذي بذلوا والنفس غربان



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* عودة إلى السؤال: لماذ يكرهوننا؟ مقال منشور في جريدة آخر لحظة للكتاب الصحفي تركي صقر بتاريخ ٢/١٢/٢٠٠٨م العدد (٨٣٨)

* غوانتنامو المعتقل الرهيب - سامي الدهشان وأميرة فكري ط١، ٢٠٠٦م دار الأحمدي للنشر.

* كيف يتم التعامل مع الأسرى من قندرهار إلى مطار غوانتنامو أبو لجين ابراهيم.

Abulojin@hotmail.com